التصغير ودلالته البلاغية
في البيان النبوي

إعداد الدكتور

محمد عبود جاد عبدالجليل مرعي

مدرس البلاغة والنقد في كلية
اللغة العربية إيتاي البارود

التصغير ودلالته البلاغية في البيان النبوي

محمد عبود عبدالجليل
مدرس، قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر- إيتاي البارود، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني : Mohamed abood. 2034@azhar.edu.eg

ملخص البحث

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد. فهذا بحث في البلاغة النبوية عنوانه التصغير ودلالته البلاغية في البيان النبوي وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يتكون من مقدمة ومبحثين وخاتمة ثم ثبت للمصادر والمراجع ثم فهرس الموضوعات أما المقدمة فقد تناولت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج الدراسة وأما المبحث الثاني فقد تناولت فيه الدراسة الصرفية للتصغير لتكون. مدخلا للدراسة التطبيقية لمعانيه وأما المبحث الثاني فتناولت فيه الدراسة التطبيقية البلاغية لمعاني التصغير في البيان النبوي. وقد انقسم إلى ثلاثة مطالب جاءت على النحو الآتي المطلب الأول الدلالة البلاغية للتصغير الذي دل على التقليل المطلب الثاني الدلالة البلاغية للتصغير الذي دل على التحقير المطلب الثالث الدلالة البلاغية للتصغير الذي دل على التحبب والتلطف وقد اعتمدت في. دراستي على المنهج التحليلي الذي يقف على بلاغة الكلمة المصغرة داخل البيان النبوي ثم دراسة العناصر التعبيرية الأخرى التي أسهمت في بيان تكشف المعنى مع الأخذ في الاعتبار دور السياق في تحديد الدلالة وأثر المقام في توجيه المعنى ثم جاءت الخاتمة التي ألقيت عندها عصاتي وأنخت ببابها راحتي لأثبت أهم النتائج التي اشتملت عليها الدراسة والله أسأل أن ينفع بها القارئ وأن يجعلها سبيلاً لمرضاته إنه ولي ذلك. وهو القادر عليه

الكلمات المفتاحية: التصغير – الدلالة البلاغية – البيان النبوي – المنهج التحليلي – الدراسة الصرفية

Miniaturization and its rhetorical significance in the Prophet's statement

Mohammed Aboud Abdul Jalil
Lecturer, Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University - Itay El-Baroud, Arab Republic of Egypt
Mohamed abood. 2034@azhar.edu.eg

Praise be to God, and peace and blessings be upon his servants who chose and after. This is a research in the prophetic rhetoric whose title is miniaturization and its rhetorical significance in the prophetic statement. The nature of this research required that it consist of an introduction and two studies and a conclusion and then proved to the sources and references and then the index of topics, while the introduction has dealt with the importance of the subject and the reasons for his choice and the curriculum of the study and the second topic has dealt with the morphological study of the miniature To be. An introduction to the applied study of its meanings. As for the second topic, the rhetorical applied study examined the meanings of miniaturization in the Prophet's statement. It was divided into three demands, which came as follows: The first requirement is the rhetorical significance of the miniaturization, which denotes the second requirement. The rhetorical significance of the diminution, which indicates the contempt. The third requirement is the rhetorical significance of the diminution, which indicates granularity and moderation. My study on the analytical method, which stands on the eloquence of the mini word within the prophetic statement and then the study of other expressive elements that contributed to a statement revealing the meaning taking into account the role of context in determining the significance and the impact of the place in guiding the meaning, then came the conclusion that my sticks were cast and I inserted in its door my comfort to prove the most important The results included in the study, and I ask God to help the reader and make it a way for his satisfaction that he is the guardian. He is able to

key words:
Miniaturization - rhetorical significance - the prophetic statement - the analytical method - the morphological study

مُقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين العلي الكبير، السميع البصير الذي لا تخفى عليه صغيرة، ولا كبيرة في الأرض، ولا في السماء، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد، وأبلغ من تكلم بجوامع الكلم سيدنا محمد بن عبدالله النبي الأمي العربي الأمين.

وبعد ،،،،

فإن التصغير من الأبواب الصرفية التي درست في كتب الصرف دراسة وافية، وتكلم الصرفيون عن معناه، وأقسامه، وتكلموا – أيضا– عن الأغراض التي يفيدها في الكلام، وعن الشروط التي يجب أن تتوافر فيه عند صياغته، كما تكلموا عن الصيغ التي يأتي عليها، وهذه دراسة أصيلة لابد منها، ولكن يبقى ربط المعاني التي يفيدها بسياقات الكلام، وأحوال المخاطبين، وهذا دور علم البلاغة؛ إذ إن قيمته البلاغية لا تعرف إلا من خلال النظم، أيا كان قرآنا، أو حديثا، أو شعرًا.

وقد قرأت – بحول الله وقوته – الدراسة الصرفية لباب التصغير، وتعرفت على المعاني التي نص الصرفيون على أنها يمكن أن تفاد منه، فأردت أن أوظف هذه الدراسة توظيفا بلاغيًّا أربط فيه المعنى المستفاد منه بالسياق الوارد فيه، وحال المخاطب لنرى بلاغة المتكلم.

وكان لابد لهذه الدراسة من مجال يطبق فيه؛ لنتعرف على المعاني التي يفيدها في مختلف السياقات والمقامات، فنظرت فلم أجد كلامًا بشريًا يستحق الوقوف عنده، والنظر فيه أجدر، ولا أحق من كلام المصطفى –ﷺ، فهو المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وهو البليغ الذي فاق البلغاء جميعًا، وتحدى أساطين البيان، ومن ثم وقع اختياري على كل ما ورد في كتب الصحيح؛ لتكون الدراسة أوسع وأشمل، ومجالا للنظر في المعاني البلاغية

لصيغ التصغير، ومدى تنوعها من خلال استعماله -ﷺ . لها؛ لنميط اللثام- قدر المستطاع- عن جانب من البلاغة النبوية التي خلبت ألباب البلغاء، وبسحرها تغنى الشعراء.

ولعل الذي دفعني إلى اختيار موضوع التصغير تحديدًا هو أنه من الظواهر اللغوية الصرفية التي تناولت الكلمة بنية، ودلالة، فضلا على أنه من الأبواب التي لم يطرقها أحد في الدراسة البلاغية التطبيقية للكلمة.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن تأتي في مقدمة، وتمهيد ، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

أما المقدمة فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وسبب اختياره، والمنهج المتبع في دراسته، وأما التمهيد فقد تناولت فيه الدراسة الصرفية للتصغير؛ لتكون مدخلاً للدراسة التطبيقية لمعانيه.

أما **المبحث الأول** فقد جاء تحت عنوان: التصغير ودلالته البلاغية على التقليل.

أما **المبحث الثاني** فقد جاء تحت عنوان: التصغير ودلالته البلاغية على التحقير.

أما **المبحث الثالث** فقد جاء تحت عنوان: التصغير ودلالته البلاغية على التحبب والتلطف.

أما **المبحث الرابع** فقد جاء تحت عنوان: خصائص التصغير بدلالته على التقليل، ودلالته على التحقير، ودلالته على التحبب في البيان النبوي.

وقد سلكت في هذا البحث المنهج التحليلي التكاملي الذي يعتمد على الآتي:

أولاً: نقل النَّص محل الدراسة، والتحليل من كتب السنة المعتمدة، وتخريجه، وبيان الرواية التي اعتمدت عليها.

ثانياً: شرح الحديث شرحًا موجزًا يبين معناه، و يظهر الغرض الذي سيق من أجله.

ثالثا: الوقوف على بلاغة الكلمة المصغرة داخل النص النبوي أولاً، ثمَّ دراسة جميع العناصر التعبيرية التي أسهمت، وساعدت في إظهار المعنى الذي أعطته صيغة التصغير.

التمهيد

التصغير في الدراسات اللغوية

أولاً: التصغير في اللغة

عرف التصغير في المعاجم اللغوية بمعنى التقليل والتحقير، يقول ابن فارس: « الصاد، والغين، والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على قِلَّةٍ وحقارة»(١)، وفي لسان العرب: «الصِّغَر والصَّغارةُ خِلاف العِظَم»(٢).

واصطلاحا: « تغيير مخصوص يطرأ على بنية الكلمة المعربة، وهيئتها، فيحولها إلى وزن "فعيل"، أو "فُعيَعل"، أو "فُعيعيل" بطريقة خاصة تؤدي إلى ذلك، وهذه الأوزان الثلاثة تسمى "صيغ التصغير"، هي غير جارية على نظام الميزان الصرفي» (٣).

وللتصغير أغراض كثيرة يحققها في الكلام، منها ما هو لفظي، حيث الإيجاز في العبارة، والتكثير في المعنى، فـ« الفائدة المرجوة من التصغير هي الدلالة على الوصف المقصود من القلة، أو الحقارة، أو القرب، أو التهويل؛ باختصار؛ فهو وسيلة من وسائل الإيجاز»(٤)، ومنها ما هو معنوي، حيث يفيد معانى متنوعة تفهم من المقام، أو السياق وأظهرها:

١. تقليل ذات الشيء، مثل جبيل في جبل.
٢. تقليل كميته مثل دريهمات في تصغير دراهم.
٣. وتقريب زمانه مثل قبيل العصر في تصغير قبل.

---

(١) مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر : دار الفكر، الطبعة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م،ج٣/٢٩٠.

(٢) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر : دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، مادة(صغر) ج٤/٤٥٨.

(٣) النحو الوافي، لعباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، الناشر: دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة،ج٤/٦٨٣.

(٤) ضياء السالك إلى أوضح المسالك، لمحمد عبد العزيز النجار، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ج٤/٢٢٨.

٤. وتقريب مسافته نحو: فويق المرحلة، وتحيت البريد، وتقريب منزلته نحو: صديقي، وإظهار الشفقة، وذلك مثل عجيز يستحق العون، والتمليح كقول القائل [من البسيط]

يا ما أَمَيْلَحَ غِزْلاناً، شَدَنَّ، لنا ... مِنْ هؤُلَيّائِكُنَّ الضّالِ والسَّمُرِ[(١)]

١) والترحم مثل مسيكين في مسكين، والتعظيم والتحبب، كقوله-ﷺ: «أُصَيْحَابِي، أُصَيْحَابِي»[(٢)] ، والاختصار اللفظي مثل نهر، فقد أغنت عن القول نهير صغير، والذم مثل: فويسق في فاسق.

* صيغ التصغير*

للتصغير ثلاث صيغ، يقول سيبويه – رحمه الله– :«اعلم أنَّ التصغير إنَّما هو في الكلام على ثلاثة أمثلة: على فُعيلٍ، وفُعَيعلٍ، وفُعيعيلٍ، فأمَّا فُعيلٌ فلما كان عدة حروفه ثلاثة أحرف، وهو أدنى التصغير، لا يكون مصغَّرٌ على أقل من فعيلٍ، وذلك نحو قبيسٍ، وجميلٍ، وجبيلٍ، وكذلك جميع ما كان على ثلاثة أحرف، وأمَّا فُعيعلٌ فلما كان على أربعة أحرف، وهو المثال الثاني، وذلك نحو جُعيفرٍ، ومُطَيرفٍ، وقولك: في سبطرٍ: سبيطرٌ، وغلامٍ: غُليّم، وعلبطٍ علبيطٌ، فإذا كانت العدة أربعة أحرف صار التصغير على مثال: فعيعلٍ، تحركن جمع أو لم يتحركن، اختلفت حركاتهن أو لم يختلفن كما صار كل بناء عدة حروفه ثلاثةٌ على مثال فعيلٍ تحركن جمع أو لم يجمع اختلفت

(١) شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، لخالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (المتوفى: ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م،ج٥/٥٥٩

(٢) الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، كتاب الرقاق ، باب في الحوض حديث رقم٦٢١١،ج٥/٢٤٠٦ وصحيح مسلم في كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، حديث رقم ٢٣٠٤، ج٤/١٨٠٠.

حركاتهن أولم يختلفن، وأمَّا فعيعيلٌ فلما كان على خمسة أحرف، وكان الرابع منه واوًا، أو ألفًا، أو ياءً، وذلك نحو قولك في مصباحٍ: مصيبيحٌ، وفي قنديلٍ: قنيديلٌ، وفي كردوسٍ: كريديسٌ، وفي قربوسٍ: قريبيسٌ، وفي حمصيصٍ حميصيصٌ، لا تبالي كثرة الحركات، ولا قلتها، ولا اختلافها»[١].

والتصغير خاص بالأسماء وحدها؛ فلا تصغر الأفعال، ولا الحروف، ويشترط في الاسم المصغر شروطً:

١- أن يكون معربًا؛ فلا تصغر قياسًا: الأسماء المبنية؛ كالضمائر، وأسماء الاستفهام والشرط، "وكم" الخبرية، وغيرها من المبنيات، وما سمع من ذلك مصغرًا يقتصر فيه على الوارد » [٢].

٢- ألا يكون مصغرًا حقيقة، أو تكون صيغته على هيئة المصغر، مثل: كميت ودريد، وسويد "أعلام"، وقيل: إذا كان غير مصغر حقيقة، ولكن مادته، وتكوينه على صيغة المصغر، جاز تصغيره؛ نحو: مُهَيمن، ومسيطر "اسمي فاعل من هيمن، وسيطر"[٣].

ويكون تصغير مثله بحذف الياء الزائدة، وإحلال ياء جديدة للتصغير محلها، فيبقى اللفظ بحاله ويختلف التقدير.

ويظهر الفرق بين المصغر والمكبر في الجمع؛ فالمكبر تحذف ياؤه، ويجمع تكسيرًا فيقال: مهامن، ومساطر، أما المصغر فلا يجمع جمع تكسير للكثرة»[٤].

---

(١) الكتاب، لعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.،ج٣/٤١٦.

(٢) ضياء السالك إلى أوضح المسالك، لمحمد عبد العزيز النجار،ج٤/٢٢٩، النحو الوافي،ج٤/٦٨٥.

(٣) ضياء السالك إلى أوضح المسالك، ج٤/٢٢٩.

(٤) السابق،ج٤/٢٢٩.

٣ – أن يكون معناه قابلا للتصغير؛ فلا يصغر نحو: كبير، وجسيم، وعظيم، ولا تصغر الأسماء المعظمة شرعًا؛ كأسماء الله، وملائكته، وأنبياءه، وكتبه، والمصحف، والمسجد؛ لأن تصغيرها ينافي تعظيمها، ولا أسماء الشهور، وأيام الأسبوع؛ لأنها تدل على مدة زمنية محدودة لا تقبل التقليل، ولا جمع الكثرة؛ لأن التقليل ينافيه، ولا المركب الإسنادي؛ لأن صيغ التصغير لا تنطبق عليه إلا بعد أن يحذف منه ما قد يوقع في لبس، ولا الجمل المحكية؛ لأن التصغير ينافي الحكاية، وكذلك لا تصغر "كل" و"بعض"؛ لأن الأول يدل على الشمول، وهو ينافي التقليل، والثاني يدل بنفسه على التقليل؛ فلا حاجة إلى تصغيره، ولا "غير، وسوى، والبارحة، و"الغد"؛ لأن دلالتها لا تحتمل القلة والكثرة، وكذلك الأسماء المختصة بالنفي، كعريب وديار؛ لأن شرط عملها عدم تصغيرها، ولم يرد تصغيرها عن العرب، ولا يصغر من الأسماء ما أشبه الفعل مثل "حسبك"؛ كما لا تصغر أسماء الأفعال، ولا اسم المفعول، ولا الصفة المشبهة»[١].

(١) السابق، ج٤/٢٢٩.

المبحث الأول

التصغير ودلالته البلاغية على التقليل

ويشتمل على الآتي:

أولا: مقام حديثه -ﷺ- عن الاقتصاد في الطعام والشراب، والتحذير من الإفراط فيهما.

ثانيا: مقام حديثه -ﷺ- عن كيفية التعامل مع عمال جمع الزكاة.

ثالثا: مقام حديثه -ﷺ- عن شرط رجوع المطلقة طلاقا بائنا إلى زوجها الأول.

رابعا: مقام حديثه -ﷺ- عن أفضل الناس منزلة عند الله.

خامسا: مقام حديثه -ﷺ-عن عدد المؤمنين الداخلين الجنة من أمة النبي- ﷺ- والأمم السابقة.

سادسا: مقام الحديث عن هديه-ﷺ- في الصلاة.

سابعا: مقام حديثه-ﷺ- عن مَنَاقِبِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَبِي عَمْرٍو القُرَشِيّ -رضي الله عنه-.

المبحث الأول

التصغير ودلالته البلاغية على التقليل

دل التصغير على معنى التقليل في مقامات متنوعة من بيانه -ﷺ-، وسيقف البحث – بمشيئة الله- مع هذه المقامات التي ورد فيها التصغير لذلك الغرض مبينا دلالته البلاغية.

أولا: مقام حديثه -ﷺ- عن الاقتصاد في الطعام والشراب، والتحذير من الإفراط فيهما.

عن المقدام بن معدي كرب – رضي الله عنه- قال: «سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: « مَا مَلأَ آدِمِيٌ وِعَاءً شَرًا مِنْ بَطْنٍ ، بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِن كَانَ لا مَحَالةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ ، وثُلُثٌ لِشَرَابِهِ ، وثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»[1]

يحذِّر النبي -ﷺ- أمته من مغبَّة الإسراف في المأكل، والمشرب، ويدعوهم إلى الاقتصاد فيهما، وذلك لأن البطن إذا امتلأت بالطعام والشراب كانت وبالا على صاحبها، ولذلك نهى الله – تعالى- عن الإسراف- فقال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [2] لما أباح الأكل أمر أن يكون باقتصاد بلا إسراف، فهذه تعليمات من الله – تعالى- ورسوله.

وهذا الحديث «أصل جامع لأصول الطب كلها، لو استعمله الناس لتعطلت دكاكين الصيادلة؛ لأن أصل كل داء التخمة، فهذا بعض منافع قلة الغذاء، وترك التملؤ من الطعام بالنسبة إلى صحة البدن، وأما منافعها بالنسبة إلى

---

(١) سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي(٢٠٩ ، ٢٧٩ هـ)،تحقيق : بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر : ١٩٩٨ م، كتاب الزهد . باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل رقم (٢٣٨٠) ٣١٧/٤ ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٢) سورة الأعراف آية:٣١

القلب ، فهي أنها توجب رقة القلب، وقوة الفهم وانكسار النفس، وضعف الهوى، والغضب ، بخلاف التوسع في الأكل، والشرب، فإنه يثقل البدن، ويزيل الفطنة ، ويجلب النوم ، ويضعف صاحبه عن العبادة»[١] .

وتظهر روعة البلاغة النبوية في هذه الكلمة الموجزة(لقيمات)؛ لتصور حرص الإسلام على القيم الخلقية السامية، التي يحافظ بها المؤمن على قوة جسده، وعزة نفسه بعدم الإسراف في المأكل والمشرب، فلا يتعرض للتخمة، والكسل، والمرض، لذا أفاد التصغير في كلمة (لقيمات) تقليل كمية الطعام، حيث إن جمع المذكر السالم، وجمع المؤنث السالم يدلان في الغالب على عدد قليل لا ينقص عن ثلاثة، ولا يزيد عن عشرة، فهما كجموع القلة التي للتكسير، ينحصر مدلولها في ثلاثة وعشرة وما بينها[٢]،ومن ثم فكلمة (لقيمات) فيها إشارة إلى المنهج السوي الذي يتخذه المؤمن في تناول الطعام، حيث إن المؤمن من شأنه التقلل من الطعام، والاقتصار على ما يكفي حاجة الجسم منه؛ لاشتغاله بأسباب العبادة، ولعلمه بأن مقصود الشرع من الطعام ما يسد الرمق ، ويقيم الصلب.

وقد ذكر خبراء التغذية ما يؤكد المعنى الذي أفاده البيان الشريف من تقليل الإنسان من كمية الطعام فقالوا: «إن تناول الطعام بكميات قليلة يصبح عملية مبهجة وعادة أصيلة للفرد بمرور الوقت، فالأمر لا يرتبط بالقيام بحساب عدد اللقيمات التي يتم تناولها، ولا بحرمان المرء مما يستلذ التهامه، بيد أنها ترتبط بمسألة الاعتدال في تناول تلك الكميات» [٣].

---

(١) جامع العلوم والحكم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الناشر : دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ،ص٤٢٥.

(٢) ينظر النحو الوافي جـ١ صـ١٣٧ .

(٣) ينظر. مقالات موقع الألوكة، المؤلف: مجموعة من العلماء والدعاة والمفكرين حتى آخر شهر صفر من عام ١٤٢٩هـ،ص٣.

وقد جاءت الصفة (يقمن صلبه)؛ لتتمم المعنى، وتزيد من بيان الغرض المقصود من الكلام، والتعبير بالفعل يقمن فيه إشارة إلى ضرورة الغذاء للجسم، ولكن يكون بقدر الاعتدال لا الإسراف.

وإسناد الفعل (يقمن) إلى ضمير اللقيمات مجاز عقلي علاقته السببية؛ إشارة إلى أهمية تلك اللقيمات في إفادة الجسم، وإقامة صلبه إذ هي المقصود من الطعام، والغرض الرئيس منه.

وفي التعبير بصلبه مجاز مرسل علاقته الجزئية، حيث عبر بالجزء، وهو الظهر وأراد جسم الشخص، إشارة إلى أهمية الظهر فهو رمانة ميزان الجسم، بل هو الذي يمسك الجسد، وهو «كناية عن أنه لا يتجاوز ما يحفظه من السقوط ويتقوى به على الطاعة» [1].

وجاء التعبير بالمصدر (حسب) المقترن بـ (الباء) الزائدة [2]؛ ليؤكد على أهمية أمر الاقتصاد في الطعام، وعدم الإسراف فيه، لما في ذلك من فوائد كثيرة ومتنوعة.

ثم يبين النبي–ﷺ– المنهج الأمثل والسوي للمؤمن إن غلبت عليه نفسه، وكان شديد الرغبة في الطعام في قوله: «فَإِن كَانَ لا مَحَالةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ ، وثُلُثٌ لِشَرَابِهِ ، وثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»

(١) ينظر تحفة الأحوذي،لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ج٧/٤٤.

(٢) ينظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: د/ عبد اللطيف محمد الخطيب، الطبعة الأولى،١٤٢١هـ،٢٠٠٠م، ج٢/١٦٦، والجنى الداني الجنى الداني في حروف المعاني، لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ) تحقيق: د فخر الدين قباوة – الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م ،صـ٥٣ .

ففي هذا التقسيم البديع إشارة إلى أنه ينبغي للمؤمن ألا يسرف في الطعام والشراب «ليتمكن من التنفس ويحصل له نوع صفاء ورقة وهذا غاية ما اختير للأكل وهو أنفعها للبدن والقلب فإن البطن إذا امتلأ طعاما ضاق عن الشراب، فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النفس وعرض للكرب والثقل، ولما كان في الإنسان ثلاثة أجزاء أرضي ومائي وهوائي قسم طعامه وشرابه ونفسه إلى الأجزاء الثلاثة»(١)

هذا وقد استهل النبي-ﷺ- بيانه بما ينفر المخاطبين من الإسراف في الطعام والشراب فقال: « مَا مَلأَ آدِمِيٌ وِعَاءً شَراً مِنْ بَطْنٍ»؛ لينبه المخاطبين من بداية الأمر إلى أنه ليس هناك وعاء شر على الإنسان من بطنه إذا امتلأت بالطعام، وإنما كان ملء البطن شرًّا؛ لما فيه من المفاسد الدينية والدنيوية فالشبع يورث البلادة، ويعوق الذهن عن التفكير الصحيح، وهو مدعاة الكسل والنوم» (٢)

وقد أفاد ت (من) في قوله . ﷺ . : (من بطن) التأكيد على مدى بشاعة هذا الأمر، واسترذاله، والنفور منه .

ثانيا: مقام حديثه -ﷺ- عن كيفية التعامل مع عمال جمع الزكاة.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ– : « سَيَأْتِيكُمْ رُكَيْبٌ مُبْغَضُونَ ، فَإِذَا أَتَوْكُمْ فَرَحِّبُوا بِهِمْ، وَخَلُّوا

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (المتوفى : ١٠٣١هـ)،دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الاولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م،ج٥/٦٤١.

(٢) الأدب النبوي، لمحمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخَوْلي (المتوفى: ١٣٤٩هـ، دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الرابع، ١٤٢٣ هـ.،ص٢٠٩.

بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَبْغُونَ، فَإِنْ عَدَلُوا فَلِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِنْ ظَلَمُوا فَعَلَيْهِمْ ، وَأَرْضُوهُمْ فَإِنَّ تَمَامَ زَكَاتِكُمْ رِضَاهُمْ ، وَلْيَدْعُوا لَكُمْ» (١).

فقوله-ﷺ-: " رُكيب" تصغير ركب، والركب جمع راكب كصاحب وصحب، والركب أصحاب الإبل في السفر دون الدواب، وهم العشرة فما فوقها، ثم اتسع فأطلق على كل من ركب دابة، وقد دلت لفظة (ركيب) في هذا البيان النبوي على قلة عدد السعاة الذين يرسلهم ولي الأمر لجمع أموال الزكاة من الأغنياء، والتنكير فيه رمز إلى أنه لا يرغب في التعريف بهم، والتشهير بأسمائهم، وإنما يريد أن يشير إلى قلتهم إذ لا يتجاوزون العشرة إلى ما فوقها.

وإنما وصفهم بقوله "مبغضون؛ لأن الغالب في نفوس أرباب الأموال بغضهم، والتكره لهم؛ لما جبلت عليه القلوب من حب المال، وشدة حلاوته في الصدر إلاّ من عصمه الله ممن أخلص النية، واحتسب فيها الأجر، والمثوبة.

و(الفاء) التي اقترنت بأداة الشرط(إذ) في قوله(ﷺ) (فَإِذَا أَتَوْكُمْ فَرَحِّبُوا بِهِمْ) إما أن تكون استئنافية، عطفت مضمون كلام على مضمون كلام آخر، وليس هذا من عطف المفردات، ولا من عطف الجمل، بل ترتيب معنى على آخر، مع ملاحظة عنصر التعقيب بلا مهلة، إيماءً إلى المبادرة بتحقيق هذا الشرط، وإما أن تكون (الفاء) تفريعية، حيث استطرد النبي (ﷺ) بهذا الخبر معنىً آخر يبين الأحكام المتعلقة بهؤلاء الركيب، وما يجب على أصحاب الأموال تجاههم. والتعبير بـ" إذا " مناسب لفعل الشرط؛ لأنه محقق الوقوع فالنبي – ﷺ – يتحدث عن "إتيان عمال الزكاة أصحاب الأموال، وهو أمر متحقق الوقوع، وقد عبر بـ"الإتيان" مع "إذا" التي هي ظرف لما يستقبل من الزمان(٢)؛ لأنه أمر متجدد متكرر تقتضيه الأوقات.

---

(١) سنن أبي داود، المؤلف : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، الناشر : دار الكتاب العربي . بيروت، كتاب الزكاة، باب رضا المصدق، حديث رقم ١٩٥٠، ج١٨/٢.

(٢) مغني اللبيب: جـ١/١٢٩.

وقد ناسب ذلك التعبير بالفعل الماضي "أتوكم"؛ لأن "صيغة الماضي تلقى على الأحداث طابع الحكاية المروية ، ولا تدعك تفكر في إمكان وقوعها، فمسألة الوقوع وعدمه ألغاها الفعل الماضي حين صيرها واقعًا يروى، ونقلها من الممكن الذى سيكون ، كما أن لفظ الماضي لا يدع الخاطر يحوم في أفق الانتظار، وإنما يلج به قلب الحقيقة التي شملته وأحاطت به"(١).

وجملة جواب الشرط (فَرَجِّبُوا بِهِمْ)، قد اقترنت بـ"فاء" الربط ؛ لأنها جملة إنشائية وردت في صورة الأمر، وتلك "الفاء" بدلالتها على الترتيب والتعقيب بلا مهلة تعكس حرص النبي (ﷺ) على فورية الامتثال، وسرعة الترحيب بهم، والقيام بقضاء ما كلفوا به على أكمل وجه.

والواو في قوله(ﷺ)(وَخَلُّوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَبْغُونَ)؛ لتعطف هذه الجملة على ما قبلها؛ للتوسط بين الكمالين مع عدم الإيهام، لاتفاق الجملتين في الإنشائية معنىً ولفظًا، وفيه كناية عن تسهيل المهام لهؤلاء الركيب في جمع الزكاة.

وفى الأسلوب مقابلة بديعة بين قوله(ﷺ) :" فَإِنْ عَدَلُوا فَلِأَنْفُسِهِمْ ، وقوله وَإِنْ ظَلَمُوا فَعَلَيْهِمْ، وقد كان لتلك المقابلة دورها البارز في تقرير المعنى وتوكيده، إذ رغبت العاملين على الزكاة في الأخذ بمبدأ العدل، والتحذير من أخذ مبدأ الظلم و"المقابلة" أسلوب يقرر المعنى ويؤكده؛ لأن "ذكر الشيء ومقابله يوضح خصائص كل منهما، فتتحدد المعاني المرادة في الذهن تحديدًا قويًا"(٢).

والمقابلة في الحديث الشريف "تستعمل لتقابل الحكمين إظهارًا وإيضاحًا لكل من المقامين ترغيبًا بأحدهما، وترهيبًا بالآخر، وشرية الشر تؤكد خيرية

(١) خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، أ.د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة السابعة،١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، صـ ٢٦٨ بتصرف يسير.

(٢) الصبغ البديعي :د/ أحمد موسى .ص٤٧١ .دار الكتاب العربي – بيروت . طبعة ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م

الخير بالمفهوم ، فضلاً عن اقترانها بها في الذكر"[١].

وجملة:(وَأَرْضُوهُمْ ، فَإِنَّ تَمَامَ زَكَاتِكُمْ رِضَاهُمْ) فيها حث وحض لأصحاب الأموال أن يعطوا الواجب من أموالهم لعمال الزكاة من غير مطل، ولا غش، ولا خيانة.

والأمر في قوله-ﷺ-: (وليدعوا لكم) جاء على سبيل الندب لقابض الزكاة ساعيًا أو مستحقًا أن يدعوا للمزكي.

ثالثا: مقام حديثه-ﷺ- عن شرط رجوع المطلقة طلاقا بائنا إلى زوجها الأول.

عَنْ عَائِشَةَ- رضي الله عنها- قَالَتْ جَاءَتِ امْرَأَةُ رِفَاعَةَ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- فَقَالَتْ كُنْتُ عِنْدَ رِفَاعَةَ فَطَلَّقَنِي فَبَتَّ طَلاَقِى فَتَزَوَّجْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الزَّبِيرِ، وَإِنَّ مَا مَعَهُ مِثْلُ هُدْبَةِ[٢] الثَّوْبِ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ « أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟ لاَ حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ »[٣].

---

(١) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، للدكتور عز الدين السيد، الطبعة الأولى،١٣٩٢هـ/١٩٧٣:ص٢٣٩ .

(٢) طَرَفُ الثوبِ مما يَلي طُرَّتَه، تعني أَنه رِخْوٌ مثل طَرَفِ الثَّوبِ لا يُغْني عنها شيئًا، لسان العرب، مادة (هدب)، ج١/٧٨٠.

(٣) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - ﷺ- وسننه وأيامه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر : دار طوق النجاة، الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ، كتاب الشهادات، بَاب إِذَا طَلَّقَهَا ثَلَاثًا ثُمَّ تَزَوَّجَتْ بَعْدَ الْعِدَّةِ زَوْجًا غَيْرَهُ فَلَمْ يَمَسَّهَا، حديث رقم ٢٦٣٩،ج٣ /١٦٨، وصحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب النكاح، باب لا تحل المطلقة ثلاثا لمطلقها حتى تنكح زوجا غيره ويطأها ثم يفارقها وتنقضى عدتها، حديث رقم ١٤٣٣،ج٢/١٠٥٥.

الحديث الشريف من الأحاديث التي تعالج مشكلة اجتماعية بين زوج وزوجة، ومضمونها أن امرأة طلقت ثلاث طلقات، فبانت بينونة كبرى، فلا تحل لزوجها حتى تنكح زوجا غيره، فتزوجت من عبدالرحمن بن الزبير، وقد أرادت أن ترجع لزوجها الأول رفاعة.

وقد قطع النبيُّ(ﷺ) القول في هذه المسألة بقوله: « لاَ حَتَّى تَذُوقِى عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ»، فاشترط عليها حتى ترجع إلى زوجها أن يطأها الثاني كما وطأها الأول، ثم يفارقها، وتنقضي عدتها ؛لذا جاء هذا البيان تفسيرًا لقوله تعالى :﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠ ﴾(١)

وقوله(ﷺ):«تذوقي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ »العسيلة تصغير العسل، وقد كنى بها عن الجماع؛ لأن العسل فيه حلاوة، ويلتذ به والجماع كذلك، فأفاد به أن مجرد العقد لا يكفى في التحليل» (٢).

وعُسَيْلة من العسل ألحقت به تاء التأنيث؛ لأنه مؤنث، والتصغير يدل على التقليل؛ ليبين النبي(ﷺ) أن هذه اللذة والشهوة لا تستغرق وقتا طويلا بينهما، فسرعان ما تنتهي،« والتعبير بذوق العسيلة تعبير فذ يدل على أنه جماع تفضي فيه المرأة شهوتها، وتجد له في نفسها من اللذة والنشوة ما تجد من لذة عند شرب العسل، وكذلك الزوج»(٣) وقد جاءت كلمة العسيلة في الجملة الأولى(تذوقي عسيلته) مضافة إلى ضمير زوجها الثاني؛ لأن الغرض المقصود منه هو تحقيق وطأه، كما أضاف في الجملة المعطوفة (ويذوق

(١) سورة البقرة: ٢٣٠.

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ج٢/٣٠٠.

(٣) دراسات في علم البيان، أ.د/ سلامة جمعة داود، ص١٧٠، طبعة١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

عسيلتك) العسيلة إلى ضميرها؛ لأن الغرض هو تحقيق وطأها، لئلا تتوهم أن مجرد العقد يكفي في الرجوع دون تحقق وقوع الجماع.

وقد ذكر النووي في تأنيث كلمة العسيلة كلامًا طيبًا فقال: «وأنث العسيلة؛ لأن في العسيلة نعتين: التذكير والتأنيث، وقيل أنثها على إرادة النطفة وهذا ضعيف؛ لأن الانزال لا يشترط ، وفي هذا الحديث أن المطلقة ثلاثا لا تحل لمطلقها حتى تنكح زوجا غيره، ويطأها ثم يفارقها، وتنقضي عدتها فأما مجرد عقدة عليها فلا يبيحها للأول، وبه قال جميع العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وانفرد سعيد بن المسيب، فقال: إذا عقد الثاني عليها ثم فارقها حلت للأول ولا يشترط وطء الثاني لقول الله تعالى:﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ (١) والنكاح حقيقة في العقد على الصحيح، وأجاب الجمهور بأن هذا الحديث مخصص لعموم الآية ومبين للمراد بها، قال العلماء: ولعل سعيدا لم يبلغه هذا الحديث، قال القاضي عياض: لم يقل أحد بقول سعيد في هذا الا طائفة من الخوارج، واتفق العلماء على أن تغييب الحشفة في قبلها كاف في ذلك من غير إنزال المني، وشذ الحسن البصرى فشرط إنزال المني، وجعله حقيقة العسيلة، قال الجمهور بدخول الذكر تحصل اللذة والعسيلة، ولو وطئها في نكاح فاسد لم تحل للأول على الصحيح لأنه ليس بزوج» (٢).

وقد قال الشريف الرضي: « وهذه استعارة، كأنّه – عليه الصلاة والسلام– كنّى عن حلاوة الجماع بحلاوة العسل، وكأنّ مخبر المرأة ومخبر الرجل كالعسلة المستودعة في ظرفها، فلا يصحّ الحكم عليها إلّا بعد الذوق منها، وجاء – عليه الصلاة والسلام– باسم «العسيلة» مصغّرا؛ لسرّ لطيف في هذا المعنى، وهو أنّه أراد فعل الجماع دفعة واحدة هو ما تحلّ المرأة به للزوج

(١) سورة البقرة: ٢٣٠

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ،ج١٥٧/٥.

الأوّل، فجعل ذلك بمنزلة الذواق القابل من العسلة من غير استكثار منها، ولا معاودة لأكلها، فأوقع التصغير على الاسم، وهو في الحقيقة للفعل» [١]

فدلالة كلمة العسيلة حددت حدود الزواج الثاني والهدف منه، فليس المقصود منه العقد الصوري الذي يلجأ إليه كثير من الناس للخروج من حل تلك المشكلة، وإنما لابد أن يكون زواجا يتضمن كل مقتضياته؛ لذا« استدل بإطلاق وجود الذوق منهما لاشتراط علم الزوجين به حتى لو وطئها نائمة أو مغمى عليها لم يكف ولو أنزله»[٢]

وتصغير عسيلة جاء؛ ليدل على القلة إشارة إلى أن القدر القليل كاف في تحصيل الحل[٣].

ولعل الإمام ابن حجر– رحمه الله– قصد بالقدر القليل ما أشار إليه الشريف الرضي بالدفعة الواحدة، ومن ثم حددت صيغة التصغير حددت الحكم تحديدًا دقيقًا.

كما أن اشتراط ذوق العسيلة من كلا الطرفين جاء دفعًا لتوهم أن يكون مجرد العقد على المطلقة، وتطليقها من الثاني من غير دخول عليها كافيًا في جواز نكاح الأول لها.

المهم أنه يُكتفى بأدنى ما يُطلق عليه اسم الجماع، وهو تغييب حشفة الذكر أو مقدارها في فرج المرأة، والمراد أن القدر القليل من ذلك يحصل به الجماع الذي تترتب عليه آثاره، وتتعلق به أحكامه، وهذا طبعًا شرط اشترطه العلماء قاطبةً لِتَحِلَّ لزوجها الأول.

---

(١) المجازات النبوية، للشريف الرضي، تحقيق: أ/ طه عبد الرؤوف سعد– مصطفى البابي الحلبي . ١٣٩١هـ/١٩٧١م.ص٣٥٠.

(٢) فتح الباري فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩،ج٩/٤٦٧.

(٣) السابق،ج٩/٤٦٧.

رابعا: مقام حديثه- ﷺ- عن أفضل الناس منزلة عند الله.

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ–: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ مَنْزِلًا؟ رَجُلٌ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ، يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ مَنْزِلًا بَعْدَهُ؟ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي غُنَيْمَتِهِ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»(١).

الحديث الشريف إخبار عن أفضل الناس منزلة عند الله، الأول رجل مستعد، ومتأهب للقاء العدو في سبيل الله، والآخر رجل متباعد عن الناس منفرد عنهم إلى موضع خال من البوادي والصحاري، يقيم الصلاة ويؤدي زكاة غنمه.

يلاحظ أن النبي–ﷺ– صدر حديثه عن شأن الرجلين بألا التي تفيد العرض فقال: : «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ مَنْزِلًا؟ رَجُلٌ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ، يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. .... أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ مَنْزِلًا بَعْدَهُ؟» تشويقا للمخاطبين إلى معرفة الخبر؛ وإيقاظا لهم، وتهيئة لحواسهم لكي يصغوا إلى ما يأتي بعدها؛ لأن ما بعدها من الأمور المهمة التي ينبغي أن تعلق في الذهن، وتقر في الوجدان' إنه إخبار عن أفضل رجلين عند الله مكانة، وأعلاهما لديه شأنا، وعندما تهيأ المخاطبون لسماع خبريهما لم يمهلهم النبي–ﷺ– أن يجيبوه، بل شرع في الإخبار مباشرة، فقال عن الرجل الأول : « رجل آخذ بعنان فرسه يجاهد في سبيل الله»، على حذف المسند إليه، والتقدير: « خير الناس منزلا رجل آخذ بعنان فرسه يجاهد في سبيل الله»، وإنما حذف النبي –ﷺ– المسند إليه « خير الناس منزلا» من الجواب؛ لدلالة جملة السؤال عليه، وعلى ذلك فذكره في الكلام يكون عبثا لوجود قرينة تدل عليه، وتشير إليه، والسر البلاغي وراء الحذف هو التركيز على ذكر هذا الرجل بصفته؛ لأنها هي الأهم في

(١) الموطأ، لمالك بن أنس، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي، الناشر : مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، لطبعة : الاولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م،ج٦٣٢/٣.

هذا المسلك الذي سلكه هذا الرجل، حيث إنه يقاتل في سبيل إعلاء راية التوحيد، ولك أن تتأمل جملة (آخذ بعنان فرسه) التي وقعت صفة لتلك الرجل فقد جاءت ترسم صورة هذا الرجل وهو على أحسن أهبة، وأتم استعداد لملاقاة العدو، ثم جاءت الصفة الثانية(يقاتل في سبيل الله)؛ لتتمم معنى الصفة الأولى، وتكتمل الصورة، وتظهر المزية التي جعلت الرجل ينال أفضل المنازل عند الله إنه الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام، وقد جاء القتل مقيدا بسبيل الله دلالة على مدى الإخلاص الذي يتمتع به، والذي كان سببا في أنه حاز تلك الفضيلة، وذلك الشرف، ثم بين النبي-ﷺ- صفة الرجل الآخر الذي تلا الرجل الأول في الخيرية، فقال: « ألا أخبركم بخير الناس منزلا بعده»، وقد حذف النبي-ﷺ- المسند إليه في الجواب مثل ما حذف من الحديث عن الرجل الأول والتقدير: «خير الناس منزلة بعد الأول رجل معتزل في غنيمته»، والسر البلاغي وراء الحذف هو التركيز على بيان صفة هذا الرجل الذي نال تلك المرتبة، وحاز ذلك الشرف العظيم ،حيث إنه معتزل في شعب يرعي غنيمته يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويعتزل شرور الناس.

ويلاحظ أن تنكير المسند(رجل) يفيد تعظيم شأن ذلك الرجل، وارتفاع قدره لما يقوم به من جميل عمل، وحسن صنيع في تعامله مع الفتن.

وقد أبان النبي -ﷺ- عن هذا الرجل حين وصفه بقوله: «معتزل في غنيمته» ، والاعتزال من العزلة أي الفرقة، يقال: اعتزلت القوم أي: فارقتهم، وتَنَحَّيت عنهم»[1] ، ويوحي هذا اللفظ بأن هذا الرجل بعيد تمام البعد عن أعين الناس والاختلاط بهم، فهم في واد، وهو في واد آخر، ولعله فعل ذلك حفاظا على دينه، «أو قد يكون اعتزاله ضعفا عن الجهاد، ويحتمل أن تكون له قوة على الجهاد، ولكنه يؤمر مع الغنى عنه بالانقباض، والاعتزال؛ لما يرى أن ذلك أرفق به، وأوفق له في دينه، فهذا أقام الصلاة، وآتى الزكاة، وعبد الله

(١) لسان العرب، مادة(عزل)،ج١١/٤٤٠.

– تعالى–، فمنزلته بعد منزلة المجاهد من أفضل المنازل؛ لأدائه الفرائض، وإخلاصه لله العبادة، وبعده عن الرياء، والسمعة إذا خفي موضعه ولم يكن ذلك شهرة له، ولأنه لا يؤذي أحدا ولا يذكره، ولا تبلغ درجته درجة المجاهد؛ لأن المجاهد يذب عن المسلمين، ويجاهد الكافرين حتى يدخلهم في الدين يتعدى فضله إلى غيره، ويكثر الانتفاع به، وهذا المعتزل لا يتعدى نفعه إلى غيره، ولو أن رجلا رأى أن الانقباض أسلم لدينه وأعدل لحاله ورأى أن نفسه أطوع له في الصلاة والزكاة فأقبل عليها لهذا المعنى؛ لكان ذلك – والله أعلم– الحظ له فمن الناس من يجد نفسه أطوع له في الصلاة ومنهم من يجدها أطوع له في الجهاد ومنهم من يجدها أطوع له في غير ذلك من أبواب البر وإنما ذلك بحسب ما يفتح على الإنسان ويقسم له»[1].

وقد جاء الاعتزال مقيدًا بحرف الجر(في) الذي دل هنا على معنى المصاحبة، ليبرز لنا أن الرجل يسكن مع غنيمته، لا يفارقها، ويسير معها حيث سارت، فهي مصدر رزقه الذي يأكل منه.

وغنيمة تصغير غنم، وهو مؤنث سماعي، ولذلك صغرت بالتاء، والمراد قطعة غنم، والتصغير للتقليل، دل على أن هذا الرجل قليل المال لا يملك منه سوى قطيع بسيط من الأغنام، يقوم على رعيه، والقيام بأمره حتى يكون سبيلا له في البقاء حيا، كما يشعر التصغير بأنه ليس من ذوي الأعيان، بسيط الحال راض بما آتاه الله، أضف إلى ذلك أن تصغير تلك الكلمة خير دليل على أنه يتخذ من الدنيا ما يقوم به من المعاش خشية أن تشغله عن عبادة الله، وقد مدح النبي– ﷺ– هذا الرجل وجعل ماله . أعني– أغنامه خير مال،

(١) المنتقى شرح الموطإ، لأبي الوليد سليمان بن خلف الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـ)، مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٣٢ هـ، ج١٦٣/٣.

فقال: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ، يَتَّبِعُ بِهَا شَغَفَ الْجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ»(١)

وقوله-ﷺ-: «يقيم الصلاة» كناية دلت على أنه مشتغل بعبادة ربه، فهو من المحافظين على أداء الصلاة في أوقاتها، والتعبير بالفعل المضارع (يقيم) يصور لك الحدث، وينقله كما هو، فكأنك ترى هذا الرجل يرعى غنيمته، فإذا جاء وقت الصلاة أسرع يؤديها على أكمل وجه وأتمه، وذلك هو نهج المسلم على صلة بالله دائما حتى في أحلك الظروف، وأصعب المواقف.

وقوله -ﷺ-: «ويؤتي الزكاة»، جاء معطوفا على قوله: « ويقيم الصلاة»؛ للتوسط بين الكمالين؛ لا تفاقهما في الخبرية لفظا ومعنى، والغرض من الوصل التأكيد على أن هذا الرجل يؤدي حقوق الله وواجباته عليه، وقد سوغ العطف بينهما وجود التناسب، حيث إن كليهما من آكد فرائض الإسلام ودعائمه.

ثم يزيد النبي- ﷺ- في بيان اهتمام الرجل بعبادة الله وحده، فيقول: «وَيَعْبُدُ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، وقد جاء معطوفا على سابقه، من باب عطف العام على الخاص؛ لإفادة العموم، وللاهتمام بذلك الخاص، والعناية به؛ لأنه ذكر مرتين مرة بمفرده، ومرة مندرجا تحت العام، ولا شك إذا ذكر مرتين دل على كمال العناية به، وعظيم الاهتمام بشأنه. فإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة من جملة العبادات التي يتعبد بها الرجل الله.

خامسا: مقام حديثه -ﷺ- عن عدد المؤمنين الداخلين الجنة من أمة النبي- ﷺ- والأمم السابقة.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ– ﷺ– يَوْمًا فَقَالَ « عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ – ﷺ– وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابٌ: مِنَ الدِّينِ الفِرَارُ مِنَ الفِتَنِ، حديث رقم ١٩،ج١/١٣.

الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى – ﷺ– وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ"، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»[1].

يخبر النبي (ﷺ) في هذا البيان عما رآه في منامه من عرض الأمم، وأنبياءهم عليه، فالأنبياء عليهم –الصلاة والسلام– ليسوا كلهم قد أطاعهم قومهم، بل بعضهم لم يطعه أحد من قومهم، وبعضهم أطاعه الرهط، وبعضهم أطاعه الرجل والرجلان.

وكلمة الرهيط في جملة (ومعه الرهيط) بضم المهملة، وفتح الهاء، وسكون التحتية آخره طاء مهملة أيضًا تصغير الرهط ، والرهط قوم الرجل وقبيلته، أو من ثلاثة، أو سبعة إلى عشرة، أو ما دون العشرة وما فيهم امرأة، ولا واحد له من لفظه، جمعه أرهط، وأرهاط، وأراهط، وقد دل التصغير على العدد القليل الذي كان يتبع نبيه من الأمم السابقة ، حيث لا تتجاوز أعدادهم العشرة، بل أحيانًا لا يتجاوز العدد رجلا أو رجلين، وأحيانا أخرى لا تجد أحدًا مطلقا.

سادسا: مقام حديثه- ﷺ- عن هديه في الصلاة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ– إِذَا كَبَّرَ فِي الصَّلاةِ سَكَتَ هُنَيْهَةً قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَرَأَيْتَ سُكُوتَكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ ، مَا تَقُولُ؟ قَالَ: أَقُولُ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ الطِّبِّ، بَابُ مَنْ لَمْ يَرْقِ، حديث رقم ٥٧٥٢،ج١٣٤/٧، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى دُخُولِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، حديث رقم٢٢٠،ج١٩٩/١، واللفظ لمسلم.

وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنْ الدَّنَسِ . اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ »[1].

من هدي النبي(ﷺ) في الصلاة أنه كان يقف وقتا قليلاً بين تكبيرة الإحرام وقراءة الفاتحة، والحديث فيه دليل لمن قال باستحباب هذه السكتة بين التكبير والقراءة، والمراد بالسكتة هاهنا السكوت عن الجهر، لا عن مطلق القول، أو عن قراءة القرآن، لا عن الذكر، وهنيهة هي بضم الهاء، وفتح النون، تصغير هَنَة ، زيدت فيها الهاء ، فصارت هنيهة، والغرض من هذا التصغير هو بيان قلة الوقت الذي كان يقف النبي(ﷺ) عليه بين قراءة الفاتحة والتكبير، وذلك من أجل دعاء الاستفتاح.

سابعا: مقام حديثه - ﷺ-عن مَنَاقِبِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَبِي عَمْرٍو القُرَشِيِّ -رضي الله عنه-

عَنْ أَبِي مُوسَى – رضي الله عنه – أَنَّ النَّبِيَّ – ﷺ – دَخَلَ حَائِطًا وَأَمَرَنِي بِحِفْظِ بَابِ الْحَائِطِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ». فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ». فَإِذَا عُمَرُ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ، فَسَكَتَ هُنَيْهَةً ثُمَّ قَالَ «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى سَتُصِيبُهُ»[2].

الحديث الشريف جاء في مناقب أبي بكر، وعمر، وعثمان بن عفان، وسكوت النبي(ﷺ) بعد تبشيره أبا بكر وعمر بالجنة فيه لمحة بلاغية تدل على مدى

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابُ مَا يَقُولُ بَعْدَ التَّكْبِيرِ ، حديث رقم٧٤٤، ج١/١٤٩، وصحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يقال بين التكبيرة الإحرام والقراءة رقم ٥٩٨ ، ج١/٤١٩، واللفظ لمسلم.

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ المَنَاقِبِ بَابُ مَنَاقِبِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَبِي عَمْرٍو القُرَشِيِّ رضي الله عنه، حديث رقم ٣٦٩٥،ج٥/١٣.

عظم المبشر عند النبي(ﷺ) ولعلَّه سَكَتَ في حقِّه دون صَاحِبَيْهِ، إشارةً إلى أن قَبْرَه لا يكونُ معه، بخلاف صَاحِبَيْهِ[1].

وكلمة هنيهة جاءت على وزن فعيلة بضم الهاء، وفتح النون، وسكون التحتية، وفتح الهاء مصغرًا شيئًا قليلاً، والغرض البلاغي من التصغير هو بيان قلة الوقت الذي سكت فيه النبي(ﷺ) عن الكلام قبل إخباره عن اسم عثمان- رضي الله عنه.

(١) فيض الباري على صحيح البخاري، (أمالي) محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بدابهيل (جمع الأمالي وحررها ووضع حاشية البدر الساري إلى فيض الباري)،الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م، ج٤/٤٧٧.

المبحث الثاني
التصغير ودلالته البلاغية على التحقير

ويشتمل على الآتي:

أولا: مقام تحقيره-ﷺ- للوزغ.

ثانيا: مقام إخباره-ﷺ- عن المتسببين عن هلاك أمته.

ثالثا: مقام حديثه-ﷺ- عن مخرب الكعبة.

رابعا: مقام حديثه-ﷺ- عن أشقى الناس في الدنيا والآخرة.

خامسا: مقام حديثه-ﷺ- عن أشراط الساعة والفتن آخر الزمان.

سادسا: مقام حديثه -ﷺ-على العمل على الصالح قبل ظهور علامات الساعة.

سابعا: مقام حديثه-ﷺ- عن الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم يوم القيامة.

ثامنا: مقام حديثه-ﷺ- عن الدواب التي تقتل في الحل والحرم.

المبحث الثاني

التصغير ودلالته البلاغية على التحقير

قد جاء هذا الغرض في مقامات متنوعة من بيانه(ﷺ)، حيث عمد النبي (ﷺ) إلي بيان حقارة الشيء المتحدث عنه، حتى يحذر المخاطبون ضرره وأذاه.

أولا: مقام تحقيره(ﷺ) للوزغ

عَنْ عَائِشَة – رضى الله عنها –قَالَتْ : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ– يَقُولُ لِلْوَزَغِ[1]: فُوَيْسِقٌ وَلَمْ أَسْمَعْهُ أَمَرَ بِقَتْلِهِ »[2].

فكلمة فُوَيْسِقٌ على وزن فُعَيعِل تصغير فاسق، وهو تصغير تحقير مبالغة في الذم من شأن هذا النوع من الدواب، إذ إن الوزغ سام أبرص يخشى على المرء منه، ومن ثم فتسمية النبي(ﷺ) له بأنه فويسق فيه إشارة إلى خروجه عن جنس المألوف من الحيوانات؛ إذ أصل الفِسْقِ في اللغة الخروج عن الاستقامة والجور، وبه سمي العاصي فاسقاً[3]، وإنما سميت هذه الدويبة فَويسِقا على سبيل الاستعارة لخبثها، وفسادها، وشدة ضررها، وإيذائها؛ ولخروجها عن جنس الحيوان للضرر أو لخروجها عن حكم الحيوان المحترم الذي يمتنع قتله؛ لذا يقول النووي (رحمه الله): أما تسميته فويسقا فنظيره الفواسق الخمس التي تقتل في الحل والحرم، وأصل الفسق الخروج، وهذه المذكورات خرجت عن خلق معظم الحشرات ونحوها بزيادة الضرر

(١) الوزغ: البُرْصُ نوع من الزواحف وهو سام، لسان العرب، مادة(وزغ)، ج٨/٤٥٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب جزاء الصيد بَابُ مَا يَقْتُلُ المُحْرِمُ مِنَ الدَّوَابِّ، حديث رقم١٨٣١، ج ٣/١٤، وصحيح مسلم، كتاب السلام باب استحباب قتل الوزغ رقم ٢٢٣٩، ج٤/١٧٥٨، واللفظ لمسلم.

(٣) لسان العرب، مادة(فسق)،ج١٠/٣٠٨.

والأذى»[١]. وقضية تسميته فويسقًا حل قتله، واتفقوا على أنه من الحشرات المؤذيات.

ثانيا: مقام إخباره (ﷺ) عن المتسببين عن هلاك أمته.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ – ﷺ– قَالَ: «هَلاَكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ أُغَيْلِمَةٍ سُفَهَاءَ مِنْ قُرَيْشٍ»[٢].

الهلاك الذي أخبر به النبي(ﷺ) بأنه واقع من بعض سفهاء قريش لا يحل بجميع الأمة، وإنما المراد بها هنا أهل ذلك العصر، ومن قاربهم لا جميع الأمة إلى يوم القيامة» [٣].

وقد بين النبي (ﷺ) سبب هلاك الأمة في حديث آخر، حيث تعوذ من ولاية الصبيان، فقال: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ إِمَارَةِ الصِّبْيَانِ» فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَمَا إِمَارَةُ الصِّبْيَانِ؟ قَالَ: «إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ هَلَكْتُمْ وَإِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ أَهْلَكُوكُمْ»[٤].

والمراد بهؤلاء الغلمان بعض قريش، وهم الأحداث منهم لا كلهم، والمراد أنهم يهلكون الناس بسبب طلبهم الملك، والقتال لأجله، فتفسد أحوال الناس، ويكثر الخبط بتوالي الفتن؛ لذا عمد النبي(ﷺ) إلى تحقيرهم، وذمهم عن طريق التصغير في قوله: (أغيلمة)، والتحقير هنا راجع إلى أمرين: إما تصغيرًا لأسنانهم فهم صبيان، أو تصغيرًا لعقولهم، وأحلامهم، فهم سفهاء وإن كانوا كبار السن، فمثل هؤلاء سواء كانوا صغارًا في أسنانهم، أو في عقولهم،

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الطبعة الثانية ، ١٣٩٢،ج٧/٤١١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفتن، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ – ﷺ: «هَلاَكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ أُغَيْلِمَةٍ سُفَهَاءَ» حديث رقم٧٠٥٨،ج٩/٤٧.

(٣) فتح الباري،ج١٣/١٠.

(٤) الكتاب: السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبي عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، تحقيق: د. رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦، ج٢/٤٧٤.

وأحلامهم، لاشك أن مثل هؤلاء يهلكون الحرث، والنسل، ومثل هؤلاء يتصرفون التصرفات المهلكة الضارة، يقول ابن حجر: « وقد يطلق الصبي والغليم بالتصغير على الضعيف العقل، والتدبير، والدين ولو كان محتلما، وهو المراد هنا» (١).

وقد زاد النبي(ﷺ) من تحقير هؤلاء الغلمان حين وصفهم بالسفاهة؛ إشارة إلى فساد أحوالهم، فهم ضعاف العقول والأفكار لا يحسنون التصرف.

ولشدة جهلهم بجميع الأمور تجد المعنى الثاني هو الأقرب إلى الصواب بدليل أن النبي (ﷺ) وصفهم بقوله: « سفهاء» ووصفهم النبي(ﷺ) بأنهم سفهاء؛ إشارة إلى جهلهم، وسوء تصرفاتهم، وطيش عقولهم، والسفه خفة عقل، وسخافة رأى يورثهما قصور العقل.

ولما كان الغلمان بهذا الوصف من عدم تحمل الإمارة تعوذ النبي(ﷺ) من إمارتهم فقال: «أعوذ بالله من إمارة الصبيان، قالوا: وما إمارة الصبيان قال: إن أطعتموهم هلكتم أي في دينكم وان عصيتموهم أهلكوكم أي في دنياكم بإزهاق النفس أو بإذهاب المال أو بهما.

ثالثا: مقام حديثه-ﷺ- عن مخرب الكعبة.

روى أَبو هُرَيْرَةَ– رضي الله عنه– أنه قال: قال النَّبِيُّ – ﷺ– « يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ »(٢).

البيان النبوي يشير إلى ما يحدث للكعبة من هدم قبيل وقوع الساعة على يدي ذي السويقتين وهو رجل من أهل الحبشة، يقال إنهم من ولد حبش بن كوش بن حام» (٣)

---

(١) فتح الباري،ج١٣/١٠.

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ الحَجِّ ،بَابُ هَدْمِ الكَعْبَةِ حديث رقم١٥٩٦،ج١٤٩/٢، وأخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، حديث رقم٢٩٠٩، واللفظ لهما.

(٣) فتح الباري،ج٦/٥٥٣.

وقد وصفه النبي(ﷺ) بصفة مميزة تكشف مدى ضعفه، وتحدد بنيته، جاءت في صيغة التصغير (السُّوَيْقَتَيْنِ) بضم السين، وفتح الواو تثنية سويقة مصغر الساق ألحق بها التاء للتصغير؛ لأن الساق مؤنثة، وقد أفاد التصغير التحقير من شأنه، والإشارة إلى دقة ساقه ؛ لأن الغالب على سيقان الحبشة الدقة والحموشة» (١)

وقال الطيبي – رحمه الله– : «سر التصغير هنا الإشارة إلى أن مثل هذه الكعبة المعظمة يهتك حرمتها مثل هذا الحقير الذميم الخلقة، ويحتمل أن يكون الرجل اسمه ذلك ، أو أنه وصف له ، أي رجل من الحبشة دقيق الساقين رقيقهما جدًا ، والحبشة، وإن كان شأنهم دقة السوق لكن هذا يتميز بمزيد من ذلك» (٢)

وقد أشار المناوي– رحمه الله– إلى سر تصغير كلمة ساق، فقال: « فيه إشارة إلى أن الكعبة المعظمة يهتك حرمتها حقير نضو الخلق، وإنما سلط عليها ولم يحبس عنها كالفيل لأن هذا إنما هو قرب الساعة عند فناء أهل الحق فسلط على تخريبها لئلا تبقى مهانة معطلة بعد ما كانت مهابة مبجلة»(٣)

ومن في قوله(ﷺ): «مِنَ الْحَبَشَةِ» للتبعيض أي يخربها ضعيف من هذه الطائفة.

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لأبي الحسن عبيد الله بن محمد المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤هـ) إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م،ج٩/٤٨٦.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)،لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)،تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م،ج٦/٢٠٤٥.

(٣) فيض القدير،ج١/١١٨.

رابعا: مقام حديثه -ﷺ-عن أشقى الناس في الدنيا والآخرة.

عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ، رَفِيقَيْنِ فِي غَزْوَةٍ فَلَمَّا نَزَلَهَا رَسُولُ اللهِ –ﷺ–، وَأَقَامَ بِهَا رَأَيْنَا نَاسًا مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ يَعْمَلُونَ فِي عَيْنٍ لَهُمْ أَوْ فِي نَخْلٍ، فَقَالَ لِي عَلِيٌّ: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ هَلْ لَكَ أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءِ فَنَنْظُرَ كَيْفَ يَعْمَلُونَ ؟ قَالَ: قُلْتُ إِنْ شِئْتَ فَجِئْنَاهُمْ، فَنَظَرْنَا إِلَى عَمَلِهِمْ سَاعَةً ، ثُمَّ غَشِيَنَا النَّوْمُ فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ حَتَّى اضْطَجَعْنَا فِي ظِلِّ صُورٍ مِنَ النَّخْلِ، وَفِي دَقْعَاءَ مِنَ التُّرَابِ فَنِمْنَا فَوَاللهِ مَا نَبَّهَنَا إِلَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَرِّكُنَا بِرِجْلِهِ وَقَدْ تَتَرَّبْنَا مِنْ تِلْكَ الدَّقْعَاءِ الَّتِي نِمْنَا فِيهَا فَيَوْمَئِذٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَلِيٍّ: "مَا لَكَ يَا أَبَا تُرَابٍ" لِمَا يَرَى عَلَيْهِ مِنَ التُّرَابِ ، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أُحَدِّثُكُمَا بِأَشْقَى النَّاسِ؟"، قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: " أُحَيْمِرُ ثَمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذِهِ "(١)

الحديث الشريف يعرض صفات أشقى رجلين في الدنيا والآخرة، وقد أثار النبي(ﷺ) مكامن مُخَاطِبَيه (عمار بن ياسر، وعلى بن أبي طالب) ، وحرك أشواقهما إلى معرفة من اتصف بهذه الصفة الخطيرة، فقال: "أَلَا أُحَدِّثُكُمَا بِأَشْقَى النَّاسِ ؟ "، بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، فصدر حديثه عن صفات هذين الصنفين بـ(ألا) التي تفيد العرض؛ تشويقًا لهما إلى معرفة الخبر، وإيقاظا لعقليهما؛ ليعطي الخبر درجة من الأهمية، وليتنبه السامع إلى ما وراء هذا العرض، فهو من الأمور التي لم تعلم من قبل، إنه حديث عن أشقى رجلين في الدنيا والآخرة، لذلك جاء حرف الجواب(بلى) دالا على إعلان رغبتيهما في معرفة هذا الصنف من الناس، ومن ثم ذكر النبي(ﷺ) أولهما: فقال: «أُحَيْمِرُ ثَمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ »، وأحيمر هذا هو قدار بن سالف أشقى قبيلة ثمود، وهو أشقى الأولين والآخرين، وذكره النبي(ﷺ) بصفته مصغرة (أُحَيْمِرُ) تصغير

(١) السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، حديث رقم٨٤٨٥، ج٧/٤٦٤.

أحمر قصد به تحقير شأنه، وتقليل ذاته، لأنه الذي باشر الجريمة . أي قتل الناقة التي حذرهم الله من التعرض لها بسوء، وإن كان عن ملأ منهم وإغراء، ولم لا؟، وهو الذي قال الله فيه:﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾ (١)، ولأنه كان عزيزًا شريفًا في قومه، رئيسًا مطاعًا، فأراد أن يبين قيمته، وقدره عند الله فصغره بوصفه، وإنما قال أحيمر؛ لأنه أحمر أشقر أزرق دميم، وفي إضافته إلى قبيلته ثمود إشارة إلى التعريف به؛ وتعيينه وإحضاره في ذهن المخاطبين، وفيه مزيد تحقير؛ لأن ثمود رضت بفعله، فكأنهم شركاء معه، ولذا قال الله فيهم ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ ﴾(٢) وفي وصفه(ﷺ) هذا الشقي باسم الموصول(الذي) إشارة إلى زيادة الغرض المسوق له الكلام، وهو تقرير تحقيره، والحط من شأنه، وهذا ما دلت عليه جملة الصلة حيث ترك (ﷺ) ذكر اسمه- مع العلم به-؛ لاستهجان التصريح بالاسم المنسوب إليه هذا الفعل، وهذا الرجل «وفيه قولان: أحدهما: أنه شخص معين واسمه قدار بن سالف ويضرب به المثل يقال: أشأم من قدار، وهو أشقى الأولين بفتوى رسول الله ﷺ والثاني: يجوز أن يكونوا جماعة، وإنما جاء على لفظ الوحدان لتسويتك في أفعل التفضيل إذا أضفته بين الواحد، والجمع، والمذكر، والمؤنث، تقول: هذان أفضل الناس وهؤلاء أفضلهم، وهذا يتأكد بقوله: فكذبوه فعقروها ، وكان يجوز أن يقال أشقوها كما يقال أفاضلهم»(٣).

وقوله(ﷺ):« وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذِهِ » بيان بشأن الشقي الآخر، وقد ترك التصريح باسمه كما ترك التصريح باسم الآخر هناك؛ إشارة إلى

(١) آية١٢ من سورة الشمس.

(٢) آية ١٤ من سورة الشمس.

(٣) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ،ج١٧٩/٣١.

اشتراكهما في شناعة ما قاما به من الفعل المنسوب إليهما ألا وهو القتل، وجاء بواو العطف لما بينهما من التناسب، فأحيمر ثمود عقر الناقة التي أرسلها الله معجزة لنبيه صالح دلالة على صدق نبوته، فكان ذلك سببا في حلول العذاب به وبقومه ، قال تعالى:﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧٧ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٧٨ ﴾[1] ، ولأن هذه الناقة لها قدر عظيم عند الله، فهي الآية التي أقام بها الحجة على قوم صالح، أما قاتل عليٍّ ابن أبي طالب وهو عبدالرحمن بن ملجم فكان سببا في حرمان الأمة من خيره وفضله؛ لأنه خليفة المسلمين ، ولما له من منزلة جليلة عند الله وعند رسوله(ﷺ) فهو من أحب الناس إلى الله ورسوله، ويكفيه أن النبي(ﷺ) بشره بذلك في يوم خيبر فقال: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ »[2]

خامسا: مقام حديثه -ﷺ- عن أشراط الساعة والفتن آخر الزمان.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه–، عَنِ النَّبِيِّ –ﷺ– قَالَ: "تَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهِمُ الرُّوَيْبِضَةُ". قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: "الرَّجُلُ التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ" [3].

(١) سورة الأعراف: آية ٧٧، ٧٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، حديث رقم٦٣٧٣،ج١٢٠/٧.

(٣) المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ ،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠، كتاب الفتن والملاحم، حديث رقم، ٨٤٣٩، ج٥١٢/٤.

البيان الشريف إخبار لما سيقع بين يدي الساعة من فساد الأمور، وانقلاب الموازين، وتغيير الحقائق، فيُكذَّبُ العلماء الربانيون، وتنسف أقوالهم، وتترك فتاواهم، ويصدق أولئك الخونة وتتبع آراؤهم، ويؤخذ بما يُلَبِّسُونَ به مع تفاهتهم، وحقارتهم أغيلمة صغار ما شموا رائحة العلم ، ولا ذاقوا حلاوته، يفتلون عضلاتهم أمام جهابذة من كبار علماء الشريعة ومفكريها.

يقول صاحب اللسان : الرّوَيْبضةُ تصغير رابضةٍ، وهو الذي يرعى الغنم، وقيل هو العاجز الذي رَبَضَ عن معَالي الأُمور، وقَعَد عن طَلبها، وزيادة الهاء للمبالغة في وصفه جعل الرابِضَة راعِيَ الرَّبِيض كما يقال داهية، والغالب أَنه قيل للتافه من الناس رابضة ورويبضة لربوضه في بيته، وقلة انبعاثه في الأُمور الجسيمة قال: ومنه يقال رجل رُبُضٌ عن الحاجات والأَسْفار إِذا كان لا يَنْهَضُ فيها، وقيل سمِّي بذلك؛ لأنه يَربِض بالأرض؛ لقلّته وحقارته، لا يُؤبه له[1].

وعلى تفسير (الرويبضة) بكلا المعنيين اللغويين يكون الغرض من التصغير هو ذم هذا الصنف من الناس، وتحقير ذاتهم، وانحطاط قدرهم، إذ لا قدر لهم في الناس، فهم من العلم هواء، وقلوبهم منه خواء؛ لأن الأول الذي يرعى الغنم؛ مرتبط طوال الوقت برعيه الغنم يسير معها حيث سارت، ويبيت معها حيث باتت، لذا فهو بعيد تمام البعد عن العلم الذي يجعله مؤهلا لأن يتكلم به في أمور الناس، ومع ذلك تجده يتصدر للحديث، ويتصدر للفتوى، ويعلو صوته في وقت خفت فيه صوت العلماء الربانيين، ولأن الثاني فاقد الهمة والعزيمة في تحصيل معالي الأمور، وعاجز تمام العجز عن تعلم العلم الذي يمكنه من الكلام، ومن ثم فليس يملك أي أهلية لأن يتكلم في أمور الدين.

(١) لسان العرب، مادة (ربض)، ج١٤٩/٧.

وقد جاء تقديم الجار والمجرور (فيهم) على الفاعل(الرويبضة)؛ للعناية والاهتمام، وأن نطق الرويبضة سيكون أمرًا شائعًا بين الناس في آخر الزمان. وليس المراد من النطق مجرد الأصوات المُقَطّعة التي يُظْهِرُها اللسّانُ، وتَعِيهَا الآذَانُ، وإنما المراد به الكلام الذي ينتج عن النطق؛ لأن النّطقُ لفظٌ مشتركٌ بين القوَّة الإنسانيَّة التي يكون بها الكلامُ، وبين الكلامِ المُبْرَزِ بالصَّوْت[1]، ولذا جاءت رواية أخرى تبين أن المراد بالنطق هو الكلام، حيث قال(ﷺ):« وَيَتَكَلَّمُ الرُّوَيْبِضَةُ الْوَضِيعُ مِنَ النَّاسِ»[2]

وقد ورد الفعل "ينطق "في صورة الفعل المضارع، لإفادة التجدد والحدوث والاستمرار، فكلامهم في أمر العامة، وحديثهم فيما لا يعرفون عادة مستقرة قد نشأوا عليها ، متجددة بتجدد الزمن.

وقوله: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ ؟ هذا السؤال يعني أن رسول الله لما قال الحديث وقف عند جملة (وينطق فيهم الرويبضة) وسكت هنيهة، فقال:« قائل يا رسول الله وما الرويبضة؟، ولو تابع –عليه الصلاة والسلام– بيان الرويبضة، فقال: وينطق فيهم الرويبضة الرجل التافه يتكلم في أمر العامة ما سأله سائل ، لكن سكوته هذا زيادة عن الإلف المألوف في طريقة خطابه وهذه الهنيهة كأن يكون المراد بها زيادة تشويق؛ «لأن بناء معاني الحديث مؤسس على التشويق، ولأنك حين تحول الخبر الذي استطعت أن تجعل النفوس مستشرفة إليه حين تحوله إلى جواب سائل يكون أوقع، وأمكن

(١) المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق، صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ، ص٨١١.

(٢) كتاب الفتن: لأبي عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي (المتوفى: ٢٢٨هـ)، تحقيق: سمير أمين الزهيري الناشر: مكتبة التوحيد – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ،ج٢/٥٢٣.

في النفوس، لأن الخبر الذي يتلقاه السامع جواب سؤال جرى في نفسه أو جرى به لسانه غير الخبر الذي ليس كذلك»[١].

ويبدو أن المعنيَّ بهذه اللفظة (الرويبضة) لم يكن معلوما وصفه لدى السامعين؛ لذا بادروا النبي -ﷺ- بالسؤال رغبة منهم في تحديد صفته.

واستفهام الصحابة (ما الرويبضة) قصد به السؤال عن و صف "الرويبضة" لا عن ذاته و حقيقته ، فعبر بـ " ما " بدل "من" ؛ ولذا أجاب النبي (ﷺ) بوصفه فقال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة، وفي رواية: قال: "السفيه يتكلم في أمر العامة[٢]،وفي رواية: قَالَ: «سِفْلَةُ النَّاسِ»[٣] وفي رواية: «وَيَتَكَلَّمُ الرُّوَيْبِضَةُ الْوَضِيعُ مِنَ النَّاسِ» قَالَ: " الْفُوَيْسِقُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»[٤].

ويمكن القول بأن تلك خمس روايات تقاربت معناها، وتكاتفت في اتحاد مغزاها، واتحدت جميعها في التعريف بوصف الرويبضة، وتحقير شأنه، وازدراء مكانته، فالرواية الأولى وصفته بالتفاهة، فقالت: « الرجل التافه يتكلم في أمر العامة»، وفي المعاجم: « تَفِهَ الشيءُ يَتْفَهُ تَفَهاً، وتُفوهاً وتَفاهةً قَلَّ، وخَسَّ فهو تَفِهٌ، وتافِهٌ ورجل تافِهُ العقْل، أَي قليلُه والتافِهُ الحقير اليسير، وقيل الخسيس القليلُ»[٥]، وهذه الرواية تدل على أنه نكرة من النكرات لا يؤبه لكلامه لحقارته، وقلة عقله عند الناس.

---

(١) شرح أحاديث من صحيح مسلم، دراسة في سمت الكلام الأول، أ.د/محمد محمد أبو موسى، ج١/١٨٩، الطبعة الأولى:١٤٢٦هـ،٢٠١٥م.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل،: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م،ج٨/٢٨.

(٣) كتاب الفتن، ج١/٢٤٠.

(٤) السابق،ج٨/١١٩.

(٥) لسان العرب، مادة(تفه)،ج١٣/٤٨٠.

أما الرواية الثانية فقد وصفته بالسفه، والسفيه خفيف العقل، رقيق الحلم، من قولهم: ثوب سفيه أي: رقيق، وقيل السفه هو ضعف الرأي والجهل بالأمور ، وكلها معان متقاربة تؤكد مدى جهله وحمقه، فهو مما لا يحسن الكلام لضعف رأيه، وانعدام علمه، لذا فهو أبعد الناس عن العلم ، ومن ثم فهو لا يرجو منه نفع ولا فائدة.

والرواية الثالثة قد وصفت الرويبضة بسفلة الناس، والسفلة من الناس هو أرذلهم يقال: فلان من سِفْلة القوم إذا كان من أَراذِلهم، وهذه الرواية تؤكد انحطاط شأنه، وازدراء مكانته، إذ لا قيمة له في دنيا الناس.

وقد جاءت الرواية الرابعة تؤكد ما أكدته جميع الروايات السابقة، حيث وصفت الرويبضة بأنه الوضيع من الناس، مما يدل على أنه ليس ذا قيمة عند الناس.

والرواية الخامسة وصفته بأنه فويسق؛ تَصْغِيرُ فَاسْقٍ، وَهُوَ تَصْغِيرُ تَحْقِيرٍ يَقْتَضِي زِيَادَة الذَّم؛ لخبثه، وفساده، ولأن الفسق مانع من الموانع التي تمنع من الكلام في أمر العامة، وَصْفُهُ إيَّاهُ بِأَنَّهُ لاَ يُؤْبَهُ له لِعَلَنِهِ بِفِسْقِهِ وَلِأَنَّهُ مِمَّنْ لاَ حَاجَةَ بِالنَّاسِ إلَيْهِ فَيَكُونُ بِذَلِكَ خَامِلاً لاَ يُؤْبَهُ له؛ لأنه خرج عن الطريق المستقيم الفسق الخروج عن الطريق المستقيم.

سادسا: مقام حثه -ﷺ-على العمل الصالح قبل ظهور علامات الساعة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ – ﷺ – قَالَ « بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَّالَ، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ، وَخُوَيِّصَةَ أَحَدِكُمْ »[1].

(١) صحيح مسلم، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، بَابٌ فِي بَقِيَّةٍ مِنْ أَحَادِيثِ الدَّجَّالِ، حديث رقم٢٩٤٧، ج٤/٢٢٦٧.

يأمر النبي –ﷺ – أمته بالمبادرة بالأعمال الصالحة قبل أن تأتي ستة أمور، منها أربعة من علامات الساعة الكبرى، وهي: طلوع الشمس من مغربها، والدخان و الدجال ، و الدابة، كما يأمرهم بها قبل نزول الموت، وقبل أن يتوجه إليهم أمر العامة والرياسة فيشغلهم عن صالح الأعمال.

وقوله–ﷺ –:«خويصة أحدكم» يعني الموت الذي يخص كل إنسان، ويمنعه من العمل إن لم يبادر به قبله وقيل: هي ما يخص الإنسان من الشواغل المقلقة من نفسه وماله وما يهتم به. (١)، وجاءت كلمة خويصة تصغيرًا لخاصة، والسر البلاغي وراء هذا التصغير هو تحقير الموت واستصغاره في جنب ما بعده من البعث، والعرض، والحساب، وصغّرت ؛لاستصغارها في جنب سائر العظائم من بعث، وحساب، وغيرهما.

والنبي –ﷺ– لم يضف الموت إلى فاعل بعينه، وإنما أطلق الخطاب، وعمم الحكم بقوله : "أحدكم"، و" ذلك يدل على فصاحته (ﷺ) وبلاغته ؛ لأن "أحداً" في اللفظ أقل كلاماً، وأكثر فائدة؛ لأنه يطلق على الذكر والأنثى، والقوى والضعيف، والحر والعبد، والعالم والجاهل، والعلى والدنى على اختلاف أحوال العالم"(٢).

وتوسيع دائرة الفعل الذى يقوم به الواحد ، ليشمل الجماعة بإضافة كلمة "أحد" إلى ضمير المخاطبين مجاز عقلي، علاقته إسناد ما للواحد إلى الاثنين والجماعة(٣). وتتجلى بلاغة هذا المجاز في أن ما يجري حكمه على البعض يجري على الكل ، والتأكيد على أن الموت حادثة تصيب الجميع.

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير،ج٣/١٩٤.

(٢) بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخاري، لابن أبي حمزة الأندلسي _ دار الجيل بيروت– الطبعة الثالثة بدون تاريخ.:جـ١/٧٠.

(٣) ينظر: من بلاغة المجاز العقلي في صحيح البخاري : ص١٢٠ .د/ أحمد محمد سعيد . مستلة من مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدسوق . العدد الثامن – الجزء الثاني ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م .

وقد أضيف اللفظ إلى ضمير الذكور خاصة على سبيل التغليب، وإلا فالإناث شقائق الرجال.

ولعل النبي-ﷺ- جعل ذكر الموت في آخر الحديث؛ لأن العلامات التي ذكرت قبله أشد منه فتنة، فخروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهى ذلك بموت عيسى عليه السلام، وطلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام الموذنة بتغير أحوال العالم العلوى وينتهى ذلك بقيام الساعة.

سابعا: مقام حديثه -ﷺ- عن الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم يوم القيامة.

عَنْ سَلْمَانَ – رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ- :"ثَلاثَةٌ لا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهَ بِضَاعَةً، لا يَشْتَرِي إِلا بِيَمِينِهِ، وَلا يَبِيعُ إِلا بِيَمِينِهِ"(١) .

من قبيل المعاملة بنقيض القصد ، وجعل العقوبة من جنس العمل ، يحدثنا رسول الله . ﷺ . عن جزاء ثلاثة من العاصين الذين توعدهم الله . ﷻ . بالإعراض عنهم، والغضب عليهم يوم القيامة، وحرمانهم من رحمته، ومغفرته، وهؤلاء الثلاثة هم الشيخ الزاني، والفقير المتكبر، والذي جعل اسم ربه على لسانه؛ ابتغاء عرض الحياة الدنيا، ولما فعل هؤلاء الثلاثة تلك الذنوب من أجل المكانة، وطلب المنزلة بين الناس استحقوا ذلك الوعيد بالغضب عليهم والإعراض عنهم؛ جزاءً وفاقًا على ما قدموا (٢).

(١) المعجم الكبير، المؤلف : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣، حديث رقم ٦١١١، ج٦/٢٤٦.

(٢) ينظر فتح المنعم شرح صحيح مسلم، للأستاذ الدكتور/موسى شاهين لاشين، دار الشروق، الطبعة الأولى جـ١صـ ٣٤٤ ، ٣٤٥ بتصرف .

وجاء البدء بقوله . ﷺ . (ثَلاثَةٌ لا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)؛ ليحدث نوعا من الإجمال من خلال البدء بأمر مبهم علي السامعين ، فيتطلعون إلي معرفة التفصيل الذي ينطوي تحت هذا الإجمال ، ومن شأن هذا أن يساعد علي تمكين المعني في ذهن السامع ، وذلك " لأن الإشعار به إجمالا يقتضي التشوق له، والشيء إذا وقع بعد التشوق يقع في النفس فضل وقوع ، ويتمكن أي تمكن"(١).

ونفي نظر الله إليهم يوم القيامة كناية عن الاستهانة، والبغض لهؤلاء الثلاثة ، ولذا يقول ابن فورك : "المراد بنفي النظر نفي الاحتساب والاعتداد، كما يقول القائل : قصدت فلانًا فما نظر إلى أي لم يقع قصدي عنده موقعًا أعتد به وأحتسبه" (٢).

وأول صنف ذكره النبي – ﷺ – من هذه الثلاثة (أشيمط)، والشمَطُ في اللغة : الرجل شيْبُ اللِّحية، ويقال للرجل أَشْيَبُ، والشَمَطُ بياض شعر الرأْسِ يُخالِطُ سَواده، وقد شَمِطَ بالكسر يَشْمَطُ شَمْطاً(٣)، وهذه الكلمة تصغير أشمط على صيغة فعيعل، أي: إنه هرم وكبر، وذهب شبابه، والغرض من هذا التصغير هو تحقير هذا الرجل، والتشنيع عليه فيما قام به من سوء عمل؛ لأنه بلغ من العمر عتيا، وفعل ما يستحي من فعله الرجال، وقد زاد من تحقير هذا الشخص مجيء المسند إليه في صورة النكرة، ويلفتك التنكير –أيضا– في هذه الكلمة إلى قلة من يقوم بهذا الأمر من الشيوخ، وكونه يزني، وهو بهذا

(١) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، لأبي العباس أحمد بن محمد بن يعقوب المغربي تحقيق د/ خليل إبراهيم خليل دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الأولي ١٤٢٤هـ / ١٩٩٣م .جـ١ صـ٦٥٣ .

(٢) مشكل الحديث وبيانه، محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (المتوفى: ٤٠٦هـ) تحقيق: موسى محمد علي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٥م صـ١١١ .

(٣) لسان العرب(مادة شمط)،ج٧/٣٣٥.

الوصف، فإنه يدل على زيادة خبث، ولو كان شاباً، فأمره يختلف عنه؛ لأن عنده قوة الغريزة والحاجة، وأما هذا فقد ولى وذهب، ومع ذلك يتعلق بالنساء، ومن ثم فالتصغير في هذا المقام يزيد من تحقير هذا الشيخ الزاني الذي امتدت شهوته إلى الحرام، حيث إنه لم يستطع السيطرة عليها، فوقع في المحظور.

ثم ذكر النبي . ﷺ . الثاني، فقال :(وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ)، والعائل من العيلة بفتح العين وهو الفقر[1]؛ وهو معطوف على ما قبله؛ لأن ذنبه- وهو الكبر- لا يقل خطورة عن الزنا، فهما من واد واحد، ألا وهو الكبائر.

ثم ذكر النبي . ﷺ . الثالث فقال:(وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهَ بِضَاعَةً، لا يَشْتَرِي إلا بِيَمِينِهِ، وَلا يَبِيعُ إلا بِيَمِينِهِ)، وهو معطوف على ما قبله؛ لاشتراكه معهما في الوعيد، وإن كان يختلف عنهما في المعصية، فهذا لا يبيع سلعة إلا بالحلف بالله، والحلف بالله في كل بيع وشراء يعد مخالفة لما نهى الله عنه في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾[2] وإن كان صادقا لاستهانته باسم الله – تعالى- ووضعه في غير محله.

وقد خص النبي . ﷺ . هؤلاء الثلاثة بالوعيد المذكور، لأن كل واحد منهم التزم المعصية المذكورة مع بعدها منه ، وعدم ضرورته إليها ، وضعف دواعيها عنده . نعم لا يعذر أحد بذنب، ولكن لما لم يكن إلى هذه المعاصي الضرورة المزعجة، ولا الدواعي القوية أشبه إقدامهم عليها المعاندة والاستخفاف بحق الله – تعالى- وقصد معصيته بدون حاجة ، فاستحقوا أشد وعيد في هذا الباب بنفي النظر[3].

(١) لسان العرب (مادة: عيل)،ج١١/٤٨٨.
(٢) سورة البقرة آية:٢٢٤.
(٣) ينظر فتح المنعم جـ١صـ٣٥٣ بتصرف .

ثامنا: مقام حديثه -ﷺ- عن الدواب التي تقتل في الحل والحرم.

عَنْ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ – ﷺ–أَنَّهُ قَالَ: "خَمْسٌ فَوَاسِقُ، يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ: الْحَيَّةُ، وَالْغُرَابُ الْأَبْقَعُ(١)، وَالْفَأْرَةُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ، وَالْحُدَيَّا "(٢)

بدأ الحديث بأمر مجمل ينبهم معناه على السامعين، فيتطلعون إلى الإيضاح وانكشاف هذا الانبهام، إذ يخبر النبي – ﷺ– عن خمسة حيوانات صغيرة الحجم خطيرة الضرر عن طريق التشويق الذي يثير النفوس، ويحركها نحو التطلع لمعرفة ما أجمل وأبهم ثم أتبع ذلك بالتفصيل والإيضاح، وهذا من شأنه تمكين المعنى وتثبيته.

وقد بدأ النبي . ﷺ . حديثه بقوله : (خَمْسٌ فَوَاسِقُ، يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ) ، والتنصيص على العدد (خمس) إشارة إلى بيان عددها ووصفها بالفواسق؛ لكثرة خبثهن، وكثرة وقوع الضرر منهن، ولأنها من الدواب المؤذية، والضارية، وذوات السموم، لما أطلعه الله – تعالى– عليه من مفاسدها، أو لأنها أقرب ضررًا إلى الإنسان، وأسرع في الفساد، وذلك بغير تمكن الإنسان من دفعها، والاحتراز عنها.

وقد بدأ النبي –ﷺ– بالنكرة الموصوفة؛ ليحدث نوعًا من التشويق عن طريق التوضيح بعد الإبهام، حيث ينتظر السامع إيضاح ذلك العدد بذكر المعدود، وفي ذلك تهيئة للمخاطب حتى يتأكد المعنى لديه ويقر بداخله [٣]

---

(١) الأَبقع ما خالَط بياضَبه لونٌ آخر وغُراب أَبقع فيه سواد وبياض، لسان العرب،(مادة بقع) ج١٧/٨.

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ، كتاب، بَاب خَمْسٌ مِنْ الدَّوَابِّ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ فِي الْحَرَمِ، حديث رقم٣٣١٤، ج١٣٩/٤، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم ، حديث رقم١١٩٨،ج٢٥٦/٢،واللفظ لمسلم.

(٣) ينظر التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه، التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه، د/ بسيوني فيود– مطبعة الحسين الإسلامية– الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، ٢٠٠٣م، صـ٥٦

وقد زاد النبي . ﷺ . من بيان ما يتعلق بهذه الحيوانات حين وصفهن بقوله: (يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ)،وقد بني الفعل(يقتلن) للمفعول؛ وكان الأصل أن يقال: يقتلهن الناس في الحل والحرم، والغرض من الحذف يرجع إلى التعميم، ولأن المقصود من التعامل مع هذه الحيوانات هو القتل دون النظر إلى بيان القاتل.

ولما كان قتل هذه الدواب من الأمور الضرورية والواجبة قيده النبي . ﷺ بالحل والحرم؛ ليشمل القتل لهن في وقت الإحرام وغير وقته.

وبعد هذا التشويق، وذاك التطلع يأتي الإيضاح والبيان:" الحية، والغراب الأبقع، والفأرة، والكلب العقور، والحديا" فيقر في القلوب، ويتمكن في الوجدان، ويدرك المسلم أن هذه الدواب الفواسق تقتل في الحرم وخارج الحرم؛ لأنها تشترك في الأذى.

والحُدَيَّا مصغَّرُ: حِدَأَة، بوزْن عِنَبة، تصغير حِدَأة، فلما صغرت صارت حديئة قلبت الهمزة ياءً، ثم أدغمت في الياء، ثم حذفت التاء، وأقيمت الألف في مكانها؛ لأنها تدل على التأنيث، ويرجع السر البلاغي وراء تصغير تلك الدابة وهو طائر معروف، إلى التحقير، لأنها أقرب ضررًا من الإنسان بالنسبة إلى غيرها، ولذا حقرها النبي ﷺ مرتين الأولى أنه جعلها من جملة الخمس الفواسق، والثانية عن طريق التصغير.

المبحث الثالث

التصغير ودلالته البلاغية على التحبب والتلطف

ويشتمل على الآتي:

أولا: مقام تحببه –ﷺ– للسيدة فاطمة – رضي الله عنها–.

ثانيا: مقام تحببه –ﷺ– للسيدة عائشة– رضي الله عنها–.

ثالثا: مقام تودده– ﷺ– لعمر بن الخطاب –رضي الله عنه– .

رابعا: مقام تودده . ﷺ . لأنس بن مالك – رضي الله عنه–.

خامسا: مقام تودده– ﷺ– لعمير بن مالك أخي أنس – رضي الله عنه–.

سادسا: مقام تودده– ﷺ– فيما يبدو أنهم من أصحابه وخوفه عليهم.

المبحث الثالث

التصغير ودلالته البلاغية على التحبب والتلطف

أفاد التصغير هذا الغرض من بيانه ﷺ في مقامات متنوعة، وسيقف البحث معها بالعرض والتحليل؛ لنتعرف على قيمة التصغير البلاغية في إبراز المعنى.

أولا: مقام تحببه-ﷺ- للسيدة فاطمة - رضي الله عنها-

عن عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَتْ: أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ -ﷺ- فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِى فِي مِرْطِى فَأَذِنَ لَهَا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِى إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِى ابْنَةِ أَبِى قُحَافَةَ وَأَنَا سَاكِتَةٌ - قَالَتْ - فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- «أَىْ بُنَيَّةُ أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ ». فَقَالَتْ بَلَى. قَالَ « فَأَحِبِّى هَذِهِ ». قَالَتْ فَقَامَتْ فَاطِمَةُ حِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَرَجَعَتْ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ -ﷺ- فَأَخْبَرَتْهُنَّ بِالَّذِى قَالَتْ وَبِالَّذِى قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَقُلْنَ لَهَا مَا نُرَاكِ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَىْءٍ فَارْجِعِى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقُولِى لَهُ إِنَّ أَزْوَاجَكَ يَنْشُدْنَكَ الْعَدْلَ فِى ابْنَةِ أَبِى قُحَافَةَ. فَقَالَتْ فَاطِمَةُ وَاللَّهِ لاَ أُكَلِّمُهُ فِيهَا أَبَدًا. قَالَتْ عَائِشَةُ فَأَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ -ﷺ- زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ -ﷺ- وَهِىَ الَّتِى كَانَتْ تُسَامِينِى مِنْهُنَّ فِى الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِى الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ وَأَتْقَى لِلَّهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ وَأَعْظَمَ صَدَقَةً وَأَشَدَّ ابْتِذَالاً لِنَفْسِهَا فِى الْعَمَلِ الَّذِى تَصَدَّقُ بِهِ وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَا عَدَا سَوْرَةً مِنْ حَدٍّ كَانَتْ فِيهَا تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ قَالَتْ فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَرَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مَعَ عَائِشَةَ فِى مِرْطِهَا عَلَى الْحَالَةِ الَّتِى دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا وَهُوَ بِهَا فَأَذِنَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِى إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِى ابْنَةِ أَبِى قُحَافَةَ. قَالَتْ ثُمَّ وَقَعَتْ بِى فَاسْتَطَالَتْ عَلَىَّ وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- وَأَرْقُبُ طَرْفَهُ هَلْ يَأْذَنُ لِى فِيهَا - قَالَتْ - فَلَمْ تَبْرَحْ زَيْنَبُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- لاَ يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ - قَالَتْ - فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ

أَنْشَبْهَا حِينَ أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا – قَالَتْ – فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– وَتَبَسَّمَ « إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِى بَكْرٍ »[1].

الحديث الشريف يبرز مدى غيرة أزواج النبي (ﷺ) من السيدة عائشة – رضي الله عنها– حيث اجتمع نِسَاؤُه كلهن، وأرسلن فاطمة بنت رسول الله– ﷺ– إلى أبيها ؛ حتى تتوسط لديه في أن يعدل في حبه، حتى ينلن من حبه، لهن مثل ما لعائشة –رضي الله عنها–على طريق الرغبة في الحظ لأنفسهن، والحرص على الاستكثار منه، لا على طريق التحويز له والتظلم منه.

وقول النبي (ﷺ) لفاطمة – رضي الله عنها–:« أَىْ بُنَيَّةُ أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ»، هو موضع الشاهد ومحل الحديث، » ابتدأه النبي (ﷺ) بأداة النداء (أي) الموضوعة في اللغة لنداء القريب لأمرين: أولهما ليبين مدى قربها من نفسه، وحبه الشديد لها، فهي أحب بنات رسوله الله إليه، ثانيهما: الدلالة على عظم الأمر المنادى له، وأهميته حيث يخص الأمر أحب نسائه إليه، وهي السيدة عائشة، وقد ناداها النبي (ﷺ) بالبنوة مصغرة دون التصريح باسمها مباشرة؛ تلطفًا وتحببًا إليها، وتذكيرًا لها بقوة العلاقة التي تجمعهما ، وتحمل دلالة التصغير في هذا المقام كل معاني الحب، والألفة، والشفقة من النبي(ﷺ) لابنته السيدة فاطمة، مع عظيم شأنها، ورفعة مكانتها، ويؤكد هذا الأمر إضافتها لنفسه، حيث إن أصل تصغير كلمة بنيَّة بُنَيْوِي اجتمعت الياء والواو في كلمة واحدة، والسابق منهما متأصل في الذات والسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت في ياء التصغير فصارت بنييي، ثم حذفت الياء الثانية المنقلبة عن الواو؛ لكراهة توالي ثلاث ياءات في كلمة واحدة، وأدغمت ياء التصغير في ياء المتكلم المفتوحة، ثم أدخلت تاء التأنيث؛ لأن المنادى مؤنث فصارت أي

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل ، باب في فَضْلِ عَائِشَةَ رضى الله تعالى عنها، حديث رقم ٢٤٤٢،ج١٨٩١/٤.

بنيَّة، وهذا التصغير كناية عن تحبيب، وشفقة نزل الكبير منزلة الصغير؛ لأن شأن الصغير أن يحب، ويشفق عليه، وفي ذلك كناية عن إمحاض النصح له.

وقد كان لهذا النداء (أي بنية) دور بارز في تنبيه وتهيئة السيدة فاطمة إلى أهمية ما يلقيه عليها، والملاحظ في كثير من الأحيان أن النبي(ﷺ) يمهد للمعنى الذي تحفل به جملة الاستفهام بالنداء «وكأن هناك علاقة حميمة تجمع بين الأسلوبين علاقة تجعلك نتصور أحدهما وقد عمل جاهدا على اجتذاب الآخر؛ لإحداث قيمة جمالية فنية»[1]؛ ومن ثم جاء هذا الاستفهام في قوله: «أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ» بمعنى التقرير حملا للمخاطب على الإقرار بما يعرفه وإلجاؤه إليه، إذ يقرر السيدة فاطمة أن الشيء الذي يحبه إنما هي تابعة له في حبه إياه، فما يحبه رسول الله (ﷺ) تحبه السيدة فاطمة، وما يبغضه رسول الله(ﷺ) فهي تبغضه.

انظر كيف أراد النبي(ﷺ) أن يستوثق من معرفة حب السيدة فاطمة لعائشة عن طريق التقرير بالاستفهام، ولما كان حب السيدة فاطمة لما يحبه رسول الله(ﷺ) واضحًا للجميع أقرت في جوابها عن المقرر بكلمة: {بَلَى} التي هي لنقض النفي، أي بلى أحب ما تحبه يا رسول الله، وحذف المفعول من الفعل (أحب) المتعدي؛ ليقع الحب على كل شيء يحبه رسول الله (ﷺ)؛ للدلالة على العموم والشمول. فهو يقررها بأنها تحب كل ما يحبه، ومن ثم فهو يدعوها أن تحب السيدة عائشة؛ لذلك قال لها: « فَأَحِبِّى هَذِهِ »، وقد ميز اسم الإشارة هذه وهي السيدة عائشة أكمل تمييز.

ثانيا: مقام تحببه (ﷺ)للسيدة عائشة- رضي الله عنها-

عَنْ عَائِشَةَ ، زَوْجِ النَّبِيِّ – ﷺ– قَالَتْ : دَخَلَ الْحَبَشَةُ الْمَسْجِدَ يَلْعَبُونَ فَقَالَ لِي : يَا حُمَيْرَاءُ أَتُحِبِّينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَيْهِمْ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَقَامَ بِالْبَابِ وَجِئْتُهُ فَوَضَعْتُ ذَقَنِي عَلَى عَاتِقَهُ

(١) الأساليب الإنشائية في شعر على محمود طه .د/ عبد العزيز أبو العزم سليم. (رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية بالمنصورة . جامعة الأزهر– قسم البلاغة والنقد.١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م): صـ٢٩.

فَأَسْنَدْتُ وَجْهِي إِلَى خَدِّهِ قَالَتْ : وَمِنْ قَوْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ أَبَا الْقَاسِمِ طَيِّبًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: حَسْبُكِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ لاَ تَعْجَلْ ، فَقَامَ لِي ثُمَّ قَالَ : حَسْبُكِ فَقُلْتُ : لاَ تَعْجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَتْ : وَمَا لِي حُبُّ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ يَبْلُغَ النِّسَاءَ مَقَامُهُ لِي وَمَكَانِي مِنْهُ(١).

كان من هدي النبي (ﷺ) مع زوجاته أنه كان يراعي حاجات زوجاته النفسية، وأقرب دليل على هذا القصة التي ترويها لنا السيدة عائشة– رضي الله عنها– حيث دخل جماعة من الحبشة المسجد يلعبون، فأرادت أن تنظر إليهم فوافقها، وهذا من باب التوسيع عليها في بعض المباحات، وهذ أمر مطلوب.

بتأمل الحديث تأملاً بلاغيًّا نجده مبنيًا على الحوار، وقد بدأته السيدة عائشة– رضي الله عنها– بقولها: «دَخَلَ الْحَبَشَةُ الْمَسْجِدَ يَلْعَبُونَ»، وهي جملة خبرية تنبئ عن إباحة اللعب في المسجد ابتداء، فمشهد لعب الحبشة في المسجد جذب انتباه السيدة عائشة– رضي الله عنها– ورأي النبي– ﷺ– ذلك في عينيها فناداها قائلا: «يَا حُمَيْرَاءُ أَتُحِبِّينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَيْهِمْ» مستهلا نداءه بيا الموضوعة في اللغة للبعيد؛ إشارة إلى بعد منزلتها عنده، وتعظيما لمكانتها في قلبه، فهي أحب نسائه إليه، وقد ناداها النبي(ﷺ) بلقبها مصغرا(حميراء) دون اسمها؛ لأن المقام مقام تلطف وتودد؛ ولأن طبيعة المرأة الميل إلى ذكر محاس نها ،كما خصها بهذا اللقب؛ إشارة إلى شدة حسنها، وجريا على كلام العرب فقد كانوا يسمون المرأة البيضاء حميراء، ثم جاء الاستفهام مفيدًا تشويقها إلى النظر إلى الحبشة، وهم يلعبون؛ اهتمامًا بشأنها، وتعظيما لقدرها، وقد جاء حرف الجواب (نعم) دالا على مدى رغبتها وحبها للنظر إلى أهل الحبشة وهم يلعبون.

(١) السنن الكبرى، باب إِبَاحَةُ الرَّجُلِ لِزَوْجَتِهِ النَّظَرَ إِلَى اللَّعِبِ، حديث رقم٨٩٠٢، ج١٨١/٨.

وقد عكست الفاء في قولها: «فقام بالباب» بخفتها وسرعة حركتها التي يتلاشى معها الزمان سرعة قيامه- ﷺ- بعد إبداء رغبتها، والفعل الماضي (قام) يعكس حرصه على تلبية رغبتها، وقد جاءت الباء في قوله بالباب مجسدة وقوف النبي(ﷺ) به متمكنا منه، وكان لموقع الفاء وتتابعها في قولها: فَوَضَعْتُ ذَقَنِي عَلَى عَاتِقَهُ فَأَسْنَدْتُ وَجْهِي إِلَى خَدِّهِ أثر بالغ في تأكيد اهتمامه برغبتها حيث وضعت ذقنها على رقبته مسندة وجهها إلى خده.

ثالثا: مقام تودده- ﷺ- لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه-

عَنْ عُمَر –رضي الله عنه– : أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ – ﷺ– فِي الْعُمْرَةِ، فَأَذِنَ لَهُ، وَقَالَ لَهُ: "يَا أُخَيَّ، أَشْرِكْنَا فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِكَ، وَلَا تَنْسَنَا"(١).

العمرة التي استأذن فيها عمر بن الخطاب النبي (ﷺ)كانت عمرة قد نذرها في الجاهلية، وكان من هدي النبي(ﷺ) أنه يطلب من أصحابه الدعاء، لما للمسافر من دعوة مستجابة عند الله.

يلاحظ في هذا البيان أن النبي(ﷺ) نادى عمر بن الخطاب بـ(يا) الموضوعة في اللغة للبعيد، مع أنه قريب منه؛ تعظيمًا لشأنه، وإشعارًا ببعد منزلته، وحب النبي(ﷺ) وتقديره له، كما يدل على عظم الأمر المطلوب منه بعد النداء، وأنه ينبغي أن يتنبه له، وأن يهيأ الذهن، ويوقظ الفكر؛ ليصغى بعناية واهتمام إلى ما سيلقى عليه.

وقد ناداه النبي(ﷺ) بالأخوة مصغرة فقال: «يَا أُخَيَّ» ؛ تحبيبًا، وترقيقًا، وملاطفة، فقد كان عمر- رضي الله عنه- من أحب الناس إلى قلب النبي(ﷺ) فهو يحتل المرتبة الثانية بعد أبي بكر الذي احتل المرتبة الأولى، وأصل تصغير كلمة أخيَّ قبل إضافتها إلى ياء المتكلم ، "أخيو" فاجتمع الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون،

(١) سنن ابن ماجة لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، بَابُ فَضْلِ دُعَاءِ الْحَاجِّ، ج١٤٢/٤.

فانقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء، ثم أضيفت إلى المتكلم، فاجتمع ثلاث ياءات، فحذفت الثانية منهن، التي هي لام الكلمة، ولم تحذف الأولى؛ لأنها ياء التصغير، وقد أتى بها لغرض خاص، ولم تحذف الثالثة، التي هي ياء المتكلم؛ لأنها كلمة برأسها.

ولعل في إيثار النبي(ﷺ) نداء عمر- رضي الله عنه- بالأخ دون الاسم؛ إشارة إلى العلاقة والرابطة التي تجمعهما، وليس في الإسلام علاقة بين الأخ وأخيه المسلم أقوى من رباط الأخوة، وقد نزله النبي(ﷺ) منزلة الأخ في الرضاعة، أو الأخ من النسب على سبيل الاستعارة التصريحية، فشبه أخوة الدين بأخوة النسب؛ إشارة إلى منزلة عمر الرفيعة، ومكانته من قلب النبي(ﷺ) فأخوة الدين لا تضاهيها أخوة، وسمّاه أخاً – أيضا- تنبيهًا على إشفاقه عليه شفقة الأخ على أخيه.

وفي إضافة كلمة (أخ) إلى ضمير النبوة، فيها تعظيم لشأن المضاف، وبيان لمنزلته عند النبي(ﷺ).

ولربما ناداه النبي (ﷺ)بلفظ الأخ؛ لأن المقام مقام وصية بالدعاء له، ولمن معه، كما أن ذلك أدعى إلى الاهتمام بالأمر المطلوب منه ، وهذا النداء يرمى إلى تذكير عمر بحق الأخوة.

وقد جاء فعل الأمر (أشركنا)؛ ليفيد معنى الحث والحض، حيث يحثه- ﷺ- على إشراكهم في الدعاء في هذا المكان الطاهر، وصياغة هذا الطلب في قالب الأمر يصور مدى حرصه – عليه الصلاة والسلام – على تحقيق ما أمره به، وتنفيذ ما أرشده إليه .

وفي إسناد الفعل (أشركنا) إلى ضمير المفعولية (نا)؛ ليعم الدعاء جميع أصحاب النبي- ﷺ-، وهذا يدل على عظيم حبه لهم.

ومجيء حرف الجر (في) الموضوعة في اللغة للظرفية؛ ليدل على رغبة النبي(ﷺ) في الحصول على هذه المشاركة، وتمكنه منها.

والتنكير في كلمة (شيء) يفيد الإفراد: وكأنه يقول له أشركنا في دعوة واحدة من دعواتك؛ لذلك جاءت من في قوله(من دعائك) مفيدة لمعنى التبعيض، وفي ذلك حسن تأدب مع أصحابه، فهو لا يريد أن يثقل على عمر في الأمر المطلوب منه فيه، وهذا التعبير(من دعائك) فيه « إظهار الخضوع والمسكنة في مقام العبودية بالتماس الدعاء ممن عرف له الهداية، وحث للأمة على الرغبة في دعاء الصالحين، وأهل العبادة، وتنبيه لهم على أن لا يخصوا أنفسهم بالدعاء، ولا يشاركوا فيه أقاربهم وأحباءهم، لا سيما في مظان الإجابة، وتفخيم لشأن عمر، وإرشاد إلى ما يحمي دعاءه من الرد»[1]

وقوله: (ولا تنسانا) جملة معطوفة بـ "الواو" علي الجملة قبلها، وهذا العطف للتوسط بين الكمالين مع عدم المانع من العطف، والسر البلاغي هو التأكيد على ضرورة تنفيذ الأمر المطلوب منه.

رابعا: مقام توددة ـ ﷺ ـ لأنس بن مالك – رضي الله عنه-.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– « يَا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لأَحَدٍ فَافْعَلْ »[2].

سلامة الصدر من الغل والحسد والحقد والبغضاء على المسلمين، من أعظم الخصال وأشرف الخلال، لذا فالنبي(ﷺ) في هذا البيان يتعهد أنس بن مالك بالنصح والإرشاد فيدعوه أن ينقي قلبه من أي حسد أو كراهية أو ضغينة لأحد من المسلمين.

وقد ابتدأ النبي–ﷺ– نصحه بالنداء فقال: «يا بني» : إثارة منه . ﷺ . وتنبيها له . رضى الله عنها . لما سيُلقي عليه بعد النداء فيجمع له قلبه ، ويفتح له

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م،ج٤/١٥٣٤.

(٢) سنن الترمذي، كتاب العلم، بَابُ مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ البِدَعِ، حديث رقم ٢٦٧٨،ج٥/٤٦.

عقله، وهذا ينبه على مكانة الخبر الذي سيأتي بعد ، ومعلوم أن " يا " لنداء البعيد [١]، فإذا نودى بها القريب كان ذلك تنبيها على مكانة الخبر ، يقول جار الله الزمخشري: " فإذا نودي بها – أي – بـ "يا" القريب المقاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معنى به جدا"[٢].

وقد ذكر ابن هشام أن " يا " قد ينادي بها القريب توكيدا[٣]، ولعل منشأ هذا التوكيد راجع إلى ما يحدثه النداء من إثارة وانتباه في نفس المخاطب ، مما يجعله يتلقي الخبر على قدر عال من الإيقاظ والإحساس، وهذا أثبت في تقرير المعنى وتمكينه في الذهن ، وهذا ما يؤول إليه كل تأكيد.

كما أنه . ﷺ . آثر التعبير بالحرف(يا) في ندائه وهي موضوعة للبعيد؛ تعظيمًا لأنس بن مالك – رضي الله عنه –، وإشعارًا ببعد منزلته، وحب النبي . ﷺ . له.

وقد ناداه النبي . ﷺ . بلفظ البنوة مصغرة فقال(بني)؛ لصغر سنه مع الشفقة عليه، والتلطف معه، تودد منه، وشفقة عليه رغبة في الاستماع إلى النصح، ويدل على جواز هذا لمن ليس ابنه ومعناه اللطف وإنك عندي بمنزلة ولدي في الشفقة.

و{بُنَـيَّ} – بكسر الياء المشددة – تصغير ابن مع إضافته إلى ياء المتكلم وأصله بنيوي أو بنييي على الخلاف في أن لام ابن الملتزم عدم ظهورها هي واو أم ياء، وعلى كلا التقديرين فإنها أدغمت فيها ياء التصغير بعد قلب الواو ياء لتقارب الياء والواو، أو لتماثلهما فصار "بنَـيّ". وقد اجتمع ثلاث ياءات فلزم حذف واحدة منها فحذفت ياء المتكلم لزوما، وألقيت الكسرة التي اجتلبت لأجلها على ياء التصغير؛ دلالة على الياء المحذوفة، وحذف ياء المتكلم من المنادى المضاف شائع، وبخاصة إذا كان في إبقائها ثقل كما هنا، لأن التقاء ياءات ثلاث فيه ثقل.

---

(١) ينظر: مغنى اللبيب جـ٢ صـ٧٩٣ .

(٢) الكشاف . للإمام الزمخشري جـ١ صـ٢٠٩ .

(٣) مغني اللبيب جـ٢ صـ٧٩٣ .

ولعل النبي ـ ﷺ ـ نادى أنسا بالبنوة؛ تنزيلا له منزلة الابن من النسب؛ لأن الابن بناء للأب ، فإنّ الأب هو الذي بناه، وجعله الله بناء في إيجاده ، «ويقال لكلّ ما يحصل من جهة شيء أو من تربيته ، أو بتفقده، أو كثرة خدمته له أو قيامه بأمره : هو ابنه ، نحو : فلان ابن الحرب»(١)

وبعد أن هيأ النبي ـ ﷺ ـ أنس بن مالك، وأيقظ مدارك حسه بالنداء ألقى عليه هذا الخبر : «إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل» وقد بناه النبي ـ ﷺ ـ على أسلوب الشرط أداته (إن) التي تدل علي أن الشرط غير مقطوع به ، لأن تخلص القلب من الغش للناس أمر صعب على النفس، يحتاج إلى مجاهدة ومصابرة؛ لأنها أمارة بالسوء.

وقد عبر النبي ـ ﷺ ـ بالفعل(قدرت) مسندًا إلى ضمير الفاعل؛ لأن التغلب على هذا الأمر يحتاج إلى مقدرة وقوة، وعزيمة، وإرادة ، فهو يطلب منه أن يجعل له قدرة يتخلص بها من هذا الداء، وقد تعلق فعل القدرة بقوله(أن تصبح وتمسي) بزمني الصباح والمساء، ليجاهد أنس نفسه ليلا ونهارًا وليكون التخلص من هذا الداء هو شغله الشاغل، وعمله الدؤوب في الصبح والمساء.

وجملة(ليس في قلبك غش) جملة حالية من فاعل تصبح وتمسي تنازع فيه الفعلان أي وليس كائناً في قلبك غش، وجاء التعبير بحرف النفي (ليس)؛ للتأكيد على قطع جذور هذا المرض من القلب، ويؤكده مجيء كلمة "غش" نكرة في سياق النفي لإفادة العموم ، ليشمل التنكير كل غش يمكن أن يكون في القلب . وإن قل جداً ، والتنكير في كلمة (أحد) يفيد العموم والشمول، فهو عام للمؤمن والكافر، فإن نصيحة الكافر أن يجتهد في إيمانه، ويسعى في خلاصة من ورطة الهلاك باليد واللسان. وبالتألف بما يقدر عليه من المال.

وقد جردت الجملة الحالية من الواو لـ" تصبح في حكم الحال المفردة ، وتتصل بالجملة التي هي قيد فيها اتصالاً ذاتيًا كما تتصل الصفة بالموصوف،

(١) المفردات في غريب القرآن، ص١٤٧.

وجملة الخبر بالمبتدأ؛ لأنها حينئذٍ تكون الغرض الذى يتجه إليه المعنى، ويزجى القول فيه، وأما حين تدخل "الواو" على جملة الحال، فلا يكون الغرض متجهًا إلى الحال وحدها، وإنما يقصد إلى أمرين على سبيل الاستقلال، يجمع بينهما بـ (واو) الجمع "[1].

ويقول الإمام عبد القاهر مستجليًا الفرق بين مجئ جملة الحال بـ(الواو)، وبين عدم مجيئها كذلك :"اعلم أن كل جملة وقعت حالاً، ثم امتنعت من "الواو"، فذاك لأجل أنك عمدت إلى الفعل الواقع في صدرها ، فضممته إلى الفعل الأول في إثبات واحد ، وكل جملة جاءت حالاً ، ثم اقتضت "الواو"؛ فذاك لأنك مستأنف بها خبرًا ، وغير قاصد إلى أن تضمها إلى الفعل الأول في الإثبات"[2].

جملة جواب الشرط،(فافعل) اقترنت بـ" الفاء "؛ لأنها لا تصلح لأن تقع موقع الشرط، لكونها جملة طلبية وردت في صورة الأمر. و"الفاء" بما فيها من معانى الترتيب، والتعقيب، والتسبب تؤذن بالتعانق والتلازم بين الجواب والشرط؛ مما يعكس رغبة النبى . ﷺ . في حرص المخاطب على فعل ما أمر به.

ونفي الغش عن القلب، كناية عن طهارته، قال الطيبي: "قوله: "فافعل" جزاء كناية عما سبق في الشرط من المعنى إن فعلت ما نصحتك به فقد أتيت بأمر عظيم"[3].

---

(١) الواو ومواقعها في النظم القرآني :د/ محمد الأمين الخضري . ص٤٧٤. مخطوط بكلية اللغة العربية بالقاهرة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

(٢) دلائل الإعجاز ، للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق :أ/ محمود محمد شاكر- مطبعة المدني . القاهرة . الطبعة الثالثة:١٤١٣هـ، ١٩٩٢م :٢١٣.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)،تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)،الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م ،ج٢/٦٤٤.

خامسا: مقام توددده- ﷺ- لعمير بن مالك أخي أنس – رضي اللّه عنهما-

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ – ﷺ– أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ قَالَ أَحْسِبُهُ فَطِيمًا وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ[1] نُغَرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْضَحُ ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا[2].

من جميل أخلاق النبي – ﷺ– ورفيعها أنه كان يمازح أطفال الصحابة، ويداعبهم ويواسيهم ، وها هو عمير بن أبي طلحة الأنصاري يموت طائره الصغير الذي كان يلعب به فيحزن له ويبكي عليه فيناديه النبي . ﷺ . قائلا: يا أبا عمير ما فعل النغير، وقد ناداه النبي بـ(يا) الموضوعة في اللغة للبعيد، إشعارا ببعد منزلته، ورفعا لقدره ومكانته ، وتعظيما وحبا له ، وإنما ناداه مكنيا؛ لأن هذا ينمّي الإحساس بالمسئولية، ويُشعر الطّفل بأنّه أكبر من سنّه فيزداد نضجه، ويرتقي بشعوره عن مستوى الطفولة المعتاد، ويحسّ بمشابهته للكبار، والنداء هنا يحمل كل معاني الشفقة والحب، والعطف والحنان لدى الصحابي الجليل، وقد زاد النبي– ﷺ– من هذا التلطف والتحبب حين سأل عن حال طائره ما فعل النغير، أي ما شأنه وحاله؟ ونغير بضم النون وفتح الغين المعجمة وسكون الياء مصغر نغر، وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار و التصغير هنا يفيد من التحبب والتلطف واستمالة قلب هذا الصغير وإدخال هذا السرور عليه.

---

(١) والنغير: تصغير نغر وهو فراخ العصافير، وقيل: هو ضرب من الحمر حمر المناقير وأصول الأحناك وهو البلبل عند أهل المدينة. ينظر: لسان العرب، مادة: [نغر]،ج٥/٢٢٣.

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ الكُنْيَةِ لِلصَّبِيِّ وَقَبْلَ أَنْ يُولَدَ لِلرَّجُلِ، حديث رقم ٦٢٠٣ ،ج ٨/٤٥، صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته، حديث رقم ٢١٥٠ ،ج٣/١٦٩٢. واللفظ للبخاري.

سادسا: مقام تودده- ﷺ- فيما يبدو أنهم من أصحابه وخوفه عليهم.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا»، ثُمَّ قَالَ: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ ﴾ (١) **إِلَى آخِرِ الآيَةِ، ثُمَّ قَالَ: " أَلاَ وَإِنَّ أَوَّلَ الخَلاَئِقِ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، أَلاَ وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ:** ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّآ مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ (٢) **فَيُقَالُ: إِنَّ هَؤُلاَءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ "**(٣).

ينقل لنا النبى –ﷺ– بهذا الحديث بعضا من مشاهد اليوم الآخر تقع متوالية ومتتابعة، حيث يحشر جميع الناس كما ولدتهم أمهاتهم على الصورة التي خلقهم الله بها ليس عليهم نعال ولا خفاف ولا ما يقون به أرجلهم عراة ليس عليهم كسوة بادية أبشارهم غرلا يعني غير مختونين، وإن أول الخلائق يكسيه الله من ثياب الجنة سيدنا إبراهيم– عليه الصلاة والسلام– ثم ذكر النبي– ﷺ– أنه يؤتى برجال من أمته فيؤخذ بهم ذات الشمال أي إلى طريق أهل النار والعياذ بالله، وهنا تتجلى رحمته – ﷺ– وشفقته عليهم فينادي ربه قائلا:(يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي)، والنداء هنا فيه توجه من النبي– ﷺ– وتضرع إلى ربه شفاعة

(١) سورة الأنبياء: جزء من آية رقم١٠٤.

(٢) سورة المائدة: جزء من آية رقم ١١٧،وآية١١٨.

(٣) صحيح البخاري، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المائدة: ١١٧] حديث رقم ٤٦٢٥،ج ٦/٥٥، صحيح مسلم، كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَبَيَانِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حديث رقم ٢٨٦٠ ،ج٤/٢١٩٤، واللفظ للبخاري.

منه – ﷺ– ، وقوله:(أصيحابي) على حذف المسند إليه والتقدير: هؤلاء أصيحابي، وقد جاء الحذف إبرازًا للمسند، ولفتًا إليه، فـ"الخبر وصف للمبتدأ في المعنى ، وحين لا يبقى من الجملة إلا الخبر ، يكون القصد إلى الوصف مباشرة ، إشهارًا له ، وتركيزًا عليه ، وإلقاءً بهذا الوصف إلى الوعى مباشرة"(١). وكلمة (أصيحابي) تصغير جمع أصحاب على وزن أفعال، تحتمل دلالتين دلالة لفظية كونه من جموع القلة حيث يدل على قلة عدد من هذا وصفه؛ فهو محمول على القلة التي ارتدت منهم بعد وفاة النبي – ﷺ– يقول ابن حجر: «فيه إشارة إلى قلة عدد من وقع لهم ذلك، وإنما وقع لبعض جفاة العرب ولم يقع من أحد الصحابة المشهورين الذين لزموه وعرفوا بصحبته أولئك صانهم الله وعصمهم من التبديل »(٢).

ودلالة معنوية تحمل كل معاني الرحمة، والعطف، والشفقة لهؤلاء، والخوف عليهم من دخول النار، وإضافة كلمة أصيحابي إلى ضميره –ﷺ– إشارة إلى قربهم منه، وحبه لهم، وعطفه عليهم، فيقول: (إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ)، وهو كناية عن عدم علمه بما وقع منهم بعد موته، ولذلك يستأنس النبي – ﷺ– على سبيل الاستعطاف بقول عيسى –عليه السلام– في هذا الموقف ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ (٣) حيث دل الاستشهاد بالآيات على موقفه من هؤلاء المسمين أصيحاب، حيث غلب في دعائه جانب الرحمة على جانب العذاب، والمعنى إن تعذب هؤلاء فذلك بإقامتهم على كفرهم، وإن تغفر لهم فبتوبة كانت منهم؛ لأنهم عبادك وأنت العادل فيهم، وأنت في مغفرتك عزيز لا يمتنع عليك ما تريد حكيم، وفي رواية:

(١) علم المعانى : د/ صبَّاح دراز . مطبعة التركي– طنطا– طبعة ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.: ص١٣٤.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري،ج١١٥/٢.

(٣) سورة المائدة آية١١٨.

فَأَقُولُ: «يَا رَبِّ أَصْحَابِي»[١]، ولم يرد به خواص أصحابه، والذي وقع من تأخير بعض الحقوق، إنما كان من جفاة الأعراف، وكذلك الذي ارتد ما كان إلا منهم ممن لا بصيرة له في الدين وذلك لا يوجب قدحا في الصحابة المشهورين رضي الله تعالى عنهم» [٢]

ثم يقال للنبي- ﷺ-: « إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ» وهذا القول بيان لما أحدثوه، وقد جاء على سبيل التوكيد؛ ليدل على استمراريتهم على الارتداد، قال القاضي عياض: «هذا لصحة من تأول أنهم أهل الردة، ولذا قال: «فيهم سحقاً سحقاً»، ولا يقول ذلك في مذنبي أمته، بل يشفع لهم ويهتم بأمره، وقيل هؤلاء صنفان: أحدهما عصاة مرتدون عن الاستقامة لا عن الإسلام وهؤلاء مبدلون الأعمال الصالحة بالسيئة، والثاني مرتدون إلى الكفر حقيقة ناكصون على أعقابهم»[٣].

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا} [الأنبياء: ١٠٤]،حديث رقم ٤٧٤٠،ج٦/٩٧.

(٢) عمدة القار عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ،ج١٨/٢١٨.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لابن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م،ج٢/٤٣٠.

المبحث الرابع

خصائص التصغير بدلالته على التقليل ودلالته على التحقير ودلالته على التحبب في البيان النبوي.

ويشتمل على الآتي:

أولا: من حيث الإفراد والتركيب والتصوير.

ثانيا: حسن الابتداء والانتهاء.

ثالثا: أوجه الاتفاق والاختلاف.

المبحث الرابع

خصائص التصغير بدلالته على التقليل ودلالته على التحقير ودلالته على التحبب في البيان النبوي

أولا: من حيث الإفراد والتركيب والتصوير.

تمثل الألفاظ والتراكيب الخيوط التعبيرية التي من خلالها ينسج الكلام، وتتشكل التراكيب، ولا يكون البناء التركيبي محكم النسج متناسق الحياكة إلا إذا كانت الألفاظ والتراكيب موافقة للمعاني، مناسبة للأغراض، ملائمة للسياق، ومن ثم جاءت ألفاظ التصغير وتراكيبه في البيان النبوي معبرة عن المعنى بدقة وعمق، كما حظيت الألفاظ والتراكيب التي اشتمل عليها أسلوب التصغير مما جاء على لسان النبي- ﷺ- بكثير من السمات والخصائص، وتتمثل في الآتي:

١- انسجام اللفظة مع السياق ، فالناظر في صيغة التصغير في الأغراض الثلاثة بدلالته الثلاثة التقليل والتحقير والتحبب في البيان النبوي يجد أنها معبرة بعمق عما أراده النبي - ﷺ- ، ففي دلالة التصغير على التقليل جاء تارة بصيغة الجمع، وذلك قليل جدا، كتصغيره - ﷺ- لكلمة لقيمات في قوله« مَا مَلأَ آدِمِيٌ وِعَاءً شَرًا مِنْ بَطْنٍ ، بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِن كَانَ لا مَحَالةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وثُلُثٌ لِشَرَابِهِ ، وثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»(١)

وكلمة (لقيمات) في هذا البيان جمع مؤنث سالم مفردها لقمة ، حيث أغنى هذا الجمع عن ذكر عدد اللقيمات التي يتناولها الإنسان في الأكلة الواحدة، فضلا على ذلك فإن مجيء الكلمة في صورة التنكير فد ضاعف من التأكيد على الاقتصار على قلة الطعام؛ لأن الجسم آلة وقودها طعامها، والوقود يجب أن يعطى بمقدار والجسم عندما يطلق له صاحبه العنان ليأخذ مشتهاه، يصير مصيبة على صاحبه ، ومن ثم فهذه الكلمة ناسبت السياق

(١) سبق تخريجه: ص ٥٠.

والمقام لأنها ترسم المنهج السليم الذي ينبغي أن يسير عليه المسلم في تناوله للطعام حيث يكتفي بالقليل منه حرصا على سلامته من الأمراض.

وكلمة هنيهات فيما رواه عنه سَلَمَة بْن الْأَكْوَعِ، قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى خَيْبَرَ، فَتَسَيَّرْنَا لَيْلًا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ لِعَامِرِ بْنِ الْأَكْوَعِ: «أَلَا تُسْمِعُنَا مِنْ هُنَيْهَاتِكَ، وَكَانَ عَامِرٌ رَجُلًا شَاعِرًا، فَنَزَلَ يَحْدُو بِالْقَوْمِ، يَقُولُ: اللهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا فَاغْفِرْ فِدَاءً لَكَ مَا اقْتَفَيْنَا، وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا، وَأَلْقِيَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا، إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَتَيْنَا، وَبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا»[(١)]

وقعت جمع مؤنث سالم وقد صغرت ؛للدلالة على قلة عدد الأراجيز التي يود الرجل سماعها من سلمة بن الأكوع، والمقام مقام حرب حيث يقتضي عدم التطويل في الكلام ، ومن ثم فقد ناسب تصغير تلك الكلمة المقام، ومجيء الكلمة جمع مؤنث السالم يدل في الغالب على عدد قليل لا ينقص عن ثلاثة، ولا يزيد عن عشرة، فهو كجمع القلة التي للتكسير، ينحصر مدلولها في ثلاثة وعشرة وما بينها» [(٢)]

وتارة أتى التصغير بالإفراد وهو الأعم الأغلب، وذلك لأن الإفراد تتناسب دلالته مع وجود القلة، حيث يكتفى في بعض الأحوال بفعل الشيء مرة واحدة حتى يتحقق المقصود كما في حديث امرأة رِفَاعَةَ الْقُرَظِيِّ، اشترط عليها النبي – ﷺ– حتى ترد إلى زوجها الأول أن يقع بينهما جماع بقوله: لاَ حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ »[(٣)].

(١) صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر، حديث رقم١٨٠٢،ج١٤٢٧/٣.

(٢) ينظر النحو الوافي جـ١ صـ١٣٧ بتصرف.

(٣) سبق تخريجه ص: ٥٦

وندر مجيء التصغير بصيغة الجمع في دلالته على التحقير ، فلم يأت سوى في مقام واحد ألا وهو الإخبار عن المتسببين في هلاك أمته في قوله- ﷺ- قَالَ : «هَلاَكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ أُغَيْلِمَةٍ سُفَهَاءَ مِنْ قُرَيْشٍ»(١).

وكلمة(أغيلمة) تصغير(أغلمة) وهي جمع قلة جاءت على وزن أفعلة دلت على أمرين الأول: قلة عددهم والثاني: حقارتهم.

أما بقية المقامات فقد جاء التصغير فيها بصيغة الإفراد، انظر إلى كلمة أشيمط على سبيل المثال في قوله: - ﷺ- :«ثلاثةٌ لا يكلّمهم الله يومَ القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: «أُشَيمِطٌ زانٍ، وعائلٌ مستكبر، ورجل جعل الله بضاعتَه؛ لا يبيع إلا بيمينه، ولا يشتري إلا بيمينه»(٢) ؛ قد جاءت متناسبة تمام المناسبة مع ما بعدها حيث اشترك الثلاثة في جزاء واحد وهو أن الله لا يكلمهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، وذلك لما فعلوه من كبائر الذنوب، فالأول ذو شيبة مرض قلبه وحبّ الزنا مع ضعف قدرتِه وقوّته، لكن الأمرَ لمرضٍ في قلبه مرضِ الشهوات، ما منعه كبره ولا استحيى من الله، والثاني فقير متكبر، فهذا علامة لمرض في قلبه، مرض العجب والرياء، فكان حقه أن يسير في ركب المحرومين من نظر الرحمن تبارك وتعالى، والثالث جعل اليمينَ بالله مروّجًا لبضاعته، فإن اشترى منك حلف، وإن باع عليك حلف، فهو يحلف على البيع، يحلف لك بائعًا، ويحلف لك مشتريًا؛ لأنه جعل الله بضاعتَه، جعل اليمينَ بالله مروِّجًا لبضاعته إن كان بائعًا، أو محاولاً استمالةَ البائع إن كان مشتريًا، فهو دائمًا يحلف بالله، على أوساخ الدنيا يحلف الأيمان ويكذبها حتى يصدّقه الناس فيما يقول، وقرَن الحلفَ بالله في هذه المسألة بالزنا لما يدلّ على عظيم شأن الحلف الكاذب، وأن الحالفَ بالله كذبًا قد ارتكبَ كبيرة من كبائر الذنوب.

(١) سبق تخريجه ص: ٦٩.

(٢) سبق تخريجه ص: ٨٠.

و لم تأت صيغة التصغير في دلالته على التلطف والتحبب جمعا إلا في مقام واحد وهو مقام توديده- ﷺ- فيما يبدو أنهم من أصحابه وخوفه عليهم فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا»، ثُمَّ قَالَ: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ (١) إِلَى آخِرِ الآيَةِ، ثُمَّ قَالَ: " أَلاَ وَإِنَّ أَوَّلَ الخَلاَئِقِ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، أَلاَ وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي(٢)، وكلمة أصيحاب تصغير كلمة (أصحاب) وهو جمع قلة دل على قلة عددهم، فضلا عن ذلك فإن تصغيرها دل على رحمته- ﷺ- بهم وشفقته عليهم.

أما بقية المقامات فقد أتت صيغة التصغير بلفظ الإفراد، ولعل ذلك لأن الخطاب موجه إلى شخص واحد هو المعني بالكلام، ومن ذلك خطابه لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عندما اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ - ﷺ- فِي الْعُمْرَةِ، فَأَذِنَ لَهُ، وَقَالَ لَهُ: "يَا أُخَيَّ، أَشْرِكْنَا فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِكَ، وَلَا تَنْسَنَا"(٣).

٢- مجيء التصغير والصورة البيانية.

بناء التصغير على صورة بيانية من استعارة وكناية تحديدا وقع في بعض المقامات دون بعض، حيث جاء التصغير في إطار الاستعارة الممزوجة بالكناية في حديث امْرَأَة رِفَاعَةَ الْقُرَظِيّ حيث قَالَتْ: "كُنْتُ عِنْدَ رِفَاعَةَ فَطَلَّقَنِي فَأَبَتَّ طَلَاقِي فَتَزَوَّجْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الزَّبِيرِ إِنَّمَا مَعَهُ مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ فَقَالَ أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ لاَ حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ"(٤)، حيث شبة النبي - ﷺ- ما يحدث بين الرجل والمرأة من الجماع بالعسل بجامع

(١) سورة الأنبياء: جزء من آية رقم١٠٤.
(٢) سبق تخريجه ص: ٩٧.
(٣) سبق تخريجه ص:٧٦
(٤) سبق تخريجه ص:٥٢

حدوث اللذة في كل، والاستعارة وحذف المشبه وهو الجماع وأقام المشبه مقامه على سبيل الاستعارة التصريحية جعلت لذة النكاح لم تعد لذة عادية وإنما صارت عسلا ، وهو في نفس الوقت كناية عن حَلاوة الجِماع الذي يكون بتغييب الحَشَفة في فرج المرأَة ولا يكون ذَواقُ العُسَيْلَتَيْن معاً إلا بالتغييب وإن لم يُنْزِلا ولذلك اشترط عُسَيْلَتهما وأَنَّثَ العُسَيْلة لأَنه شَبَّهها بقِطْعة من العَسَل.

وفي نداء النبي- ﷺ- على عمر -رضي الله عنه- بالأخوة في قوله: " يَا أُخَيَّ، أَشْرِكْنَا فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِكَ، وَلَا تَنْسَنَا"(١). استعارة تصريحية حيث شبه النبي - ﷺ- أخوة الدين بأخوة النسب دلالة على قوة العلاقة بينهما، فهي علاقة لا يجمعها إلا الدين.

وجاءت التصغير يعانق أسلوب الكناية في حديثه - ﷺ- عن أشقى الناس في الدنيا والآخرة، حيث قال لعمار بن ياسر، وعلي بن أبي طالب أَلاَ أُحَدِّثُكُمَا بِأَشْقَى النَّاسِ ؟ قُلْنَا : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ : " أُحَيْمِرُ ثَمُودُ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذِهِ ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى قَرْنِهِ حَتَّى يَبُلَّ مِنْهَا هَذِهِ، وَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ"(٢)

فقوله- ﷺ-: "أحيمر ثمود" كناية عن موصوف وهو أشقى القوم قدار بن سالف، وقد ضاعفت الكناية من التأكيد على حقارته بسبب ما قام به من سوء عمل من قتل الناقة التي أرسلها الله معجزة لنبي الله صالح، وذكر أنه أشقى الناس يوم القيامة، قال هذا الرجل: أنا أعقرها، وأخذ معه رجلا وترصّدوا للناقة في وردها، فضربوها بالسهام وعقرها هذا الشقي بسيفه، وكان ابنها وراءها.

كما جاءت الكناية تعانق التصغير في حديثه- ﷺ- عن المبادرة بالأعمال الصالحة قبل وقوع علامات الساعة «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ، وَخُوَيْصَّةَ أَحَدِكُمْ»(٣)،

(١) سبق تخريجه ص:٧٦
(٢) سبق تخريجه ص:٦٣
(٣) سبق تخريجه ص:٦٨

وقوله- ﷺ-: «خويصة» تصغير خاصة كناية عن حادثة الموت؛ لأنها التي تخص الإنسان.

وفي دلالة أسلوب التصغير على التلطف وإظهار التحبب جاءت الكناية في بعض المقامات تبرز جمال المتودد إليه حيث نادى النبي - ﷺ- على السيدة عائشة- رضي الله عنها- بقوله: «يَا حُمَيْرَاءُ أَتُحِبِّينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَيْهِمْ»[1] فهي كناية عن أنها شديدة، ولعل النبي- ﷺ- نادها بتلك الصفة مصغرة زيادة في المحبة والمودة.

ثانيا: حسن الابتداء والانتهاء

عني البلاغيون والنقاد قديما وحديثا بالابتداءات الحسنة، وجعلوها أمارة على جودة البيان، وموضعا من مواضع التأنق في الكلام، وذلك لأن الابتداء أول ما يقرع السمع، ويصل القلب، وبه يستدل على ما عند المتكلم من أول وهلة، فإن كان حسنا أقبل السامع على الكلام ووعاه، وإن كان غير ذلك أعرض عنه وجفاه[2].

ومن الابتداء الحسن أن يشتمل أول الكلام على ما يشعر في الجملة بما سيق الكلام من أجله، وهو ما يعرف عند البلاغيين ببراعة الاستهلال، ومما جاء مشتملا على ما ينبئ بالمقصود ويقدم إليه أحسن تقديم قوله« مَا مَلأَ آدِمِيٌّ وِعَاءً شَرًا مِنْ بَطْنٍ ، بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِن كَانَ لا مَحَالةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ ، وثُلُثٌ لِشَرَابِهِ ، وثُلُثٌ لِنَفَسِهِ» [3]

لما كان كثرة الأكل خطرا على الإنسان استفتح النبي- ﷺ- بيانه الشريف بهذا الاستهلال البارع بما يدعو المخاطبين إلى التنفير من فضول الطعام فقال: «مَا مَلأَ آدِمِيٌّ وِعَاءً شَرًا مِنْ بَطْنٍ»، وهي الجملة الأم في الحديث،

(١) سبق تخريجه ص:٧٥

(٢) الصناعتين: الشعر والنثر لأبي هلال العسكري، تحقيق/ على البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا. بيروت ص٤٠٣.

(٣) سبق تخريجه: ص٤٨

ركزت على خطورة البطن إذا امتلأ بالطعام، حيث شبه البطن بالوعاء بجامع ما يحويه الكل تهوينا لشأن البطن، ثم جعله شر الأوعية؛ لأنه يفضي إلى الفساد في الدين والدنيا، فالشبع يميت القلب، ويؤدي إلى المرح، وكثرة الضحك؛ لذا جعل النبي – ﷺ–امتلاء البطن شرا، بل شر وعاء، ثم بعد هذا الاستهلال الرائع بهذه الجملة المفتتحة بالنفي جاءت الجملة الثانية : بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ نتيجة للأولى، ومنزلة منها منزلة الجواب من السؤال حيث تضمنت الجملة سؤالا فحواه: ما يصنع المرء ليحفظ بطنه من أن تكون شر وعاء؟ فجاء هذا القول(بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ) جوابا لهذا السؤال، فالفصل بين الجملتين لشبه كمال الاتصال، المسمى بالاستئناف البياني، والغرض من الفصل هو التأكيد على قلة الطعام، وعدم التوسع فيه، ليحصل للإنسان الخفة والنشاط، ويسلم من التعرض للأمراض والأسقام التي تنتج عن كثرة الأكل.

ومن الابتداءات الحسنة– أيضا– التي أنبأت بالمقصود، ودلت عليه قوله:« يَا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ في قَلْبِكَ غِشٌّ لأَحَدٍ فَافْعَلْ »[1] فقد استهل النبي– ﷺ– نصحه لأنس بن مالك– رضي الله عنه– بندائه بالبنوة دون التصريح باسمه ليصغى بعناية واهتمام إلى ما سيلقى من أخبار وتوجيهات، فتقع عندئذ في النفس ألطف موقع، ويكون لها فيها أعظم الأثر.

حسن الختام

ومما عني به البلاغيون– أيضا– حسن الانتهاء، أو حسن الخاتمة– كما سماها ابن أبي الأصبع[2]، وعدوه من المواضع التي ينبغي على المتكلم أن يتأنق، فهو آخر ما يقرع الأسماع، ويرتسم في النفس، فإن كان حسنا مختارا

(١) سبق تخريجه: ص٧٨.

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الأصبع المصري . تحقيق . د/ حفني محمد شرف . الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، ص٦١٦.

تلقاه السمع واستلذه استلذاذا يجبر به ما وقع فيما سبقه من التقصير، كالطعام إن كان آخره لذيذا أنسى مرارته الأولى، وإن كان آخره مرا أنسى حلاوته الأولى، فسبيله أن يكون محكما لا تمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الكلام مفتاحا له، وجب أن يكون الآخر قفلا عليه(١).

وقد روعي هذا في كلام النبي- ﷺ- عامة وفي الأحاديث محل البحث خاصة، كما في الحديث الذي رواه أبو هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: "تَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهِمُ (٢) الرُّوَيْبِضَةُ". قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: "الرَّجُلُ التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ" (٢).

فقد انتقل النبي- ﷺ- في ختام هذا الحديث بعدما انتهى من ذكر ما يحدث آخر الزمان من تصديق الكاذب وتكذيب الصادق، وتأمين الخائن، وتخوين الأمين إلى التعريف بالروبيضة ووضع قاعدة عامة لمعرفته ألا وهي التكلم بغير علم في شئون العامة.

ومن ذلك أيضا ما جاء في قوله: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ، وَخُوَيْصَّةَ أَحَدِكُمْ»(٣)

فقد أوقع النبي- ﷺ- قوله:(خويصة أحدكم) في ختام الحديث ليعيه سمع المخاطب ويرتسم في نفسه، ويعلق في ذهنه؛ وذلك لأن الموت حادثة تقع في كل وقت، ولأن الإنسان مأمور بالتوبة والعمل الصالح قبل موته الذي يخصه ويمنعه من العمل إن لم يبادر به قبله، لذلك فوقوع تلك اللفظة في نهاية

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني . تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد . دار الطلائع ـ القاهرة . ٢٠٠٦ م، جـ١/صـ١٩٨ ، وشروح التلخيص . دار البصائر .ط : الأولى : ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨م، جـ٤/صـ٥٤٣ .

(٢) سبق تخريجه: ص٦٥

(٣) سبق تخريجه ص:٦٨

الحديث مما يكون لها أثر قوي في النفس تدفع المسلم أن يسارع بالعمل الصالح بل وتجعل كل واحد يفكر ويراجع نفسه قبل فوات الأوان.

ثالثا: أوجه الاتفاق والاختلاف بين دلالة التصغير على التقليل، ودلالته على التحقير، ودلالته على التحبب

المتأمل في الأحاديث التي اشتملت على صيغة التصغير يجد أن معظمها جاءت على وزن فُعَيل، وذلك لأنها أسماء ثلاثية الوضع، وإليك الكلمات التي جاءت على هذا الوزن التصريفي(لقيمات- ركيب- عسيلته – عسيلتك- غنيمته- الرُّهَيْطُ- هنيهة-:فُوَيْسِقٌ- السُّوَيْقَتَيْنِ- الْحُدَيَّا- حُمَيْرَاءُ- بُنَيَّةُ- أُخَيَّ- بُنَيَّ- النُّغَيْرُ) وهي خمس عشرة كلمة.

أما الذي ورد على صيغة فعيعل فثماني كلمات وهي على ترتيبها في البحث (أُغَيْلِمَةٍ- أُحَيْمِرُ ثَمُودَ- الرُّوَيْبِضَةُ- خُوَيِّصَةَ- أُشَيْمِطٌ – الْحُدَيَّا- أُصَيْحَابِي)

أما الاختلاف بينهم فيظهر من جهة المعنى، حيث جاء التصغير دالا على التقليل فيما يزيد على خمسة عشر موضعا، أما دلالته على التحقير فقد وقفت على ثمانية مواضع ،أما دلالته على التحبب والتلطف فقد جاء في ست مواضع.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير البريات سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد،،،

فقد انتهى بنا المطاف في هذه الدراسة حول التصغير، ودلالته البلاغية دراسة تطبيقية على جملة من أحاديثه- ﷺ- فيما جاء في كتب الصحيح تعرفنا من خلالها على المعاني التي يفيدها هذا الأسلوب من بيانه- ﷺ- حسب السياق، والمقام، ومقتضى الحال، فهي معان متغايرة متنوعة بتغير السياقات، وتنوع الأحوال.

ومن خلال جملة الأحاديث التي تعرضت لها انتهت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

أولا: إن هذا الأسلوب على الرغم من كثرة المعاني التي يفيدها، لم ينل حظا من الدراسة البلاغية التطبيقية للكلمة ؛ لذا كشفت هذه الدراسة عن بعض المعاني التي أفادها أسلوب التصغير في البيان النبوي.

ثانيا: تنوع أغراض التصغير يدل على تنوع المعاني في البيان النبوي.

ثالثا: أكثر المعاني التي أفادها التصغير في البيان النبوي هو التقليل، ولعل ذلك يرجع إلى أن القلة في بعض الأحوال أمر مطلوب وممدوح كتصغيره- ﷺ- كلمة لقيمات التي حث من خلالها المخاطبين تناول كميات قليلة من الطعام؛ حفاظا على سلامة النفس من جلب الأمراض إليها.

رابعا: حددت صيغة التصغير في البيان النبوي في بعض المقامات الحكم الشرعي تحديدًا دقيقًا كما دل لفظ العسيلة في حديث امرأة رفاعة القرظي على أن القدر القليل من الوطء كاف في رجوعها إلى زوجها الأول، وهذا شرط اشترطه العلماء قاطبةً لِتَحِلَّ لزوجها الأول.

خامسا: يعد التصغير في البيان النبوي من إيجاز القصر، إذ يحمل معاني كثيرة يتطلبها المقام، ويقتضيها السياق، ومما يؤكد ذلك أن أكثر الصيغ التي وردت في كلامه- ﷺ- من صيغ التصغير هي فعيل.

سادسا: زاد أسلوب التصغير الذي دل على التحقير من الأشياء التي حقرها النبي- ﷺ- تحقيرا على تحقير؛ لما تسببه من الضرر والأذى، ومن ثم يحذر المخاطبون منها.

سابعا: جاء التصغير الذي دل على التلطف والتحبب مبينا لمنزلة المخاطب في قلب النبي - ﷺ- ، حيث جاء المصغر في أغلب المقامات في قالب النداء حملا للمخاطب للاهتمام بالأمر المطوب منه.

ثامنا: لم يأت التصغير لغرض التعظيم في بيانه- ﷺ- سوى في مقام واحد من- ﷺ- ألا وهو الحديث عن ذكر الفتن التي تحدث في آخر الزمان.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: كُنَّا قُعُودًا عِنْدَ النَّبِيِّ - ﷺ- فَذَكَرَ الْفِتَنَ، فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا، حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَحْلَاسِ، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمَا فِتْنَةُ الْأَحْلَاسِ؟ قَالَ: " هِيَ هَرَبٌ، وَحَرَبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي، إِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلْعٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ لَا تَدَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ: انْقَضَتْ تَمَادَتْ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ: فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيمَانَ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ»(١)

هذه بعض النتائج التي خلصت إليها الدراسة، والله أسأل أن ينفع بها القارئ، وأن يجعلها في موازين الحسنات يوم القيامة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصل اللهم على سيدنا محمد و آله وصحبه أجمعين.

(١) سنن أبي داود، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، حديث رقم ٤٢٤٢،ج٦/٢٩٢.

أولا: فهرس: المصادر والمراجع

- الأدب النبوي، لمحمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخَوْلي (المتوفى: ١٣٤٩هـ، دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الرابع، ١٤٢٣ هـ.
- الأساليب الإنشائية في شعر على محمود طه .د/ عبد العزيز أبو العزم سليم.(رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية بالمنصورة . جامعة الأزهر . قسم البلاغة والنقد.١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م).
- بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخاري، لابن أبي حمزة الأندلسي _ دار الجيل بيروت– الطبعة الثالثة بدون تاريخ.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الأصبع المصري . تحقيق . د/ حفني محمد شرف . الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- تحفة الأحوذي،لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبار كفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،.
- التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه، د/ بسيوني فيود– مطبعة الحسين الإسلامية– الطبعة الأولى ١٤١٤هـ،٢٠٠٣م.
- التيسير بشرح الجامع الصغير، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، دار النشر : مكتبة الإمام الشافعي – الرياض – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م،
- الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧،
- جامع العلوم والحكم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الناشر : دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ.

- الجنى الداني الجنى الداني في حروف المعاني، لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ) تحقيق: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م
- الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية للدكتور عز الدين السيد، الطبعة الأولى،١٣٩٢هـ/١٩٧٣.
- خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، أ.د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة السابعة،١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
- دراسات في علم البيان، أ.د/ سلامة جمعة داود، طبعة١٤٣٨ هـ/٢٠١٧م.
- دلائل الإعجاز، للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق :أ/ محمود محمد شاكر. مطبعة المدني . القاهرة . الطبعة الثالثة:١٤١٣هـ، ١٩٩٢.
- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لابن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- سنن ابن ماجة لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)،تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ،٢٠٠٩م.
- سنن أبي داود، المؤلف : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، الناشر : دار الكتاب العربي . بيروت،.
- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي(٢٠٩ ، ٢٧٩ هـ)، تحقيق : بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر : ١٩٩٨ م.

- السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)،تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- شرح أحاديث من صحيح مسلم، دراسة في سمت الكلام الأول، أ.د/محمد محمد أبو موسى، الطبعة الأولى:١٤٢٦هـ،٢٠١٥م.
- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، لخالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (المتوفى: ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
- شروح التلخيص. دار البصائر .ط : الأولى : ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨م .
- الصبغ البديعي: د/ أحمد موسى .ص٤٧١ .دار الكتاب العربي – بيروت . طبعة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
- الصناعتين :الشعر والنثر لأبي هلال العسكري، تحقيق/ على البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا. بيروت.
- ضياء السالك إلى أوضح المسالك، لمحمد عبد العزيز النجار، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- علم المعاني: د/ صبَّاح دراز. مطبعة التركي– طنطا– طبعة ١٤١٧هـ٤، ١٩٩٧م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ،.

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني . تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد . دار الطلائع . القاهرة . ٢٠٠٦ م.

- فتح الباري فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩.
- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، للأستاذ الدكتور/موسى شاهين لاشين، دار الشروق، الطبعة الأولى .
- فيض الباري على صحيح البخاري، (أمالي) محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بدابهيل (جمع الأمالي وحررها ووضع حاشية البدر الساري إلى فيض الباري)،الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (المتوفى : ١٠٣١هـ)،دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الاولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.
- كتاب الفتن: لأبي عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي (المتوفى: ٢٢٨هـ)،تحقيق: سمير أمين الزهيري الناشر: مكتبة التوحيد – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.
- الكتاب: السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبي عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، تحقيق: د. رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦.
- الكتاب، لعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨.

- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر : دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
- المجازات النبوية، للشريف الرضي، تحقيق: أ/ طه عبد الرؤوف سعد– مصطفى البابي الحلبي . ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لأبي الحسن عبيد الله بن محمد المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤هـ)إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ) ،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل،: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- مشكل الحديث وبيانه، محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (المتوفى: ٤٠٦هـ) تحقيق: موسى محمد علي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الثانية١٩٨٥م .
- المعجم الكبير، المؤلف : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، الناشر : مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣م.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: د/ عبد اللطيف محمد الخطيب، الطبعة الأولى،١٤٢١هـ،٢٠٠٠م.
- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)،تحقيق، صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.
- مقالات موقع الألوكة، المؤلف : مجموعة من العلماء والدعاة والمفكرين حتى آخر شهر صفر من عام ١٤٢٩هـ.
- مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر : دار الفكر، الطبعة : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- من بلاغة المجاز العقلي في صحيح البخاري، .د/ أحمد محمد سعيد . مستلة من مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدسوق . العدد الثامن – الجزء الثاني ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م .
- المنهاج شرح صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢.
- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، لأبي العباس أحمد بن محمد بن يعقوب المغربي، تحقيق د/ خليل إبراهيم خليل دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الأولي ١٤٢٤هـ / ١٩٩٣م .
- الموطأ، لمالك بن أنس، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي، الناشر : مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، لطبعة : الاولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م
- النحو الوافي، لعباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، الناشر: دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة.
- الواو ومواقعها في النظم القرآني :د/ محمد الأمين الخضري . ص٤٧٤. مخطوط بكلية اللغة العربية بالقاهرة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

ثانيا: فهرس الموضوع

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٤١
التمهيد: التصغير في الدراسات اللغوية.	٤٤
المبحث الأول: التصغير ودلالته البلاغية على التقليل.	٤٩
المبحث الثاني: التصغير ودلالته البلاغية على التحقير.	٦٧
المبحث الثالث: التصغير ودلالته البلاغية على إظهار التحبب	٨٥
المبحث الرابع: خصائص التصغير بدلالته على التقليل، ودلالته على التحقير، ودلالته على التحبب في البيان النبوي	١٠٠
الخاتمة	١١٠
فهرس المصادر والمراجع	١١٢
فهرس الموضوعات	١١٨